الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإسلامية

الرقم: 39/ق.ع.إ/ك.ع.إ.إ/ج.غ/2022

Université de Ghardaïa
Faculté des Sciences Sociales et Humaines
Département des sciences islamiques

غرداية في: 2022/05/10م.

شهادة المحاضرات المطبوعة
التدريس في الليسانس

يشهد السيد رئيس قسم العلوم الإسلامية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة غرداية، أن ما ورد من دروس في المطبوعة المقدمة من قبل الدكتور: **محمد بولقصاع**، والموسومة بـ: **محاضرات في مادة التفسير التحليلي.**

أنها مطابقة لمفردات مادة: التفسير التحليلي، التي تدرس في السداسي الثالث لطلبة السنة الثانية شعبة أصول الدين.

سلمت هذه الشهادة للمعني بالأمر بطلب منه لاستعمالها فيما يسمح به القانون .

غرداية في.....2022.05.11.....

رئيس القسم:

رئيس قسم علوم الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
إمضاء: بن شيخ عباس

رئيس اللجنة العلمية للقسم:

رئيس اللجنة العلمية
قسم العلوم الإسلامية
إمضاء: الشيهاني حمو

جامعة غرداية
اللجنة العلمية
قسم العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإسلامية

رقم القيد: 34 ق.ع.إ.ا/ك.ع.ا.إ /ج.غ/**2022**

Université de Ghardaïa
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

Département des sciences islamique

غرداية في: **11 /05/ 2022**م

شهادة إدارية

يشهد السّيد رئيس قسم العلوم الإسلامية بجامعة غرداية، بأن الأستاذ: **بولقصاع محمد**، تخصص: **التفسير وعلوم القرآن. قد وضع على الخط** مطبوعته الجامعية المعنونة بـ: محاضرات في مادة التفسير التحليلي لفائدة طلبة السنة الثانية شعبة أصول الدين، للموسم الجامعي: 2022/2021م، وفق الرابط الآتي:

عنوان المطبوعة	السنة	التخصص	الرابط
محاضرات في مادة التفسير التحليلي	الثانية	أصول الدين	https://classroom.google.com/c/NDI1ODI5MzY1NDA0/p/NTMzMjgwMDYwODE4/details

سُلمت هذه الشهادة للمعني بالأمر بطلب منه للإدلاء بها في حدود ما يسمح به القانون.

رئيس القسم

رئيس اللجنة العلمية

جامعة غرداية
رئيس قسم علوم الإسلامية
قسم علوم الإسلامية
العلوم الإسلامية
بن شيخ عباس

جامعة غرداية
اللجنة العلمية
قسم العلوم الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية

محاضرات في مادة
التفسير التحليلي

مقدمة لطلبة السنة الثانية أصول الدين

إعداد الأستاذ: محمد بولقصاع

الموسم الجامعي: 1443.1442هـ/ 2022.2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيِّما، والصلاة والسلام على خير من فسَّر القرآن بأقواله وأفعاله فكان قرآنا يمشي على قدمين، وعلى آله وصحبه الذين نقلوا لنا الوحي وبذلوا النَّفس والنفيس في خدمته إلى أن وصل إلينا مبيَّنا مفسَّرا، فاللهم جازهم عن الكتاب والسنة خير الجزاء، واجعلنا متَّبعين لنهجهم لا مبدِّلين ولا مغيِّرين، أما بعد:

فإن أجلَّ علم تصرف فيه الهمم، وتنفق فيه الأموال والأوقات هو علم تفسير كلام الله ﷻ، الذي لاقى عناية كبيرة من علماء الأمة عبر العصور: كيف لا والقرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول لجميع المسلمين، وهو كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقد قيّض الله لكتابه الكريمِ علماءَ ربانيين أفنوا أعمارهم، وفرَّغوا أوقاتهم لخدمة تفسير القرآن الكريم لأجل بيان معانيه، واستنباط أحكامه وحكمه، والوقوف على مقاصده وعِبره، فاستخرجوا لنا من علومه وأسراره دررا وكنوزا يشهد لها كثرة التآليف والمصنفات والمطوَّلات التي امتلأت بها رفوف المكتبات من تفاسيرهم القيِّمة التي جادت بها قرائحهم.

وإني أقدّم من هذه النَّفائس مطبوعة في مادة التّفسير التّحليلي لطلاب السنة الثانية تخصص أصول الدين، معتمدا فيها على المصادر الموثوقة والمراجع الصّحيحة، ومتَّبعا المقرَّر الدراسي لهذه المادَّة.

وإنِّي لأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا العمل طلبة العلم فما وجدوا فيه من صواب فمن الله ﷻ وحده، فله سبحانه النِّعمة والمِنَّة، وله الفضل والثَّناء الحسن، وإن كان فيه سهو أو خطأ، أو نسيان فمن نفسي، ومن الشَّيطان، فليتداركوا هذا النَّقص والخطأ بنصحي وبالدَّعوة لي بالخير على ظهر الغيب، فرحم الله عبدًا أهدى إليَّ عُيوبي.

وأسأله تعالى كما منَّ عليَّ بإتمام هذه المطبوعة أن يُتِمَّ النِّعمة بقَبولها وينفع بها إنَّه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وهو حسبي ونعم الوكيل.

د. محمد بولقصاع؛ أستاذ التفسير وعلوم القرآن؛ جامعة غرداية.

غرداية في: 2021/12/06م.

المحاضرة الأولى: ما يتعلق بالمادة.

أهمية المادة:

لقد اهتمَّ العلماء عبر العصور بعلم تفسير القرآن الكريم لعلوِّ قدره، وعِظَم نفعه، وفضل أجره في الدنيا والآخرة، فالعلمُ بما أنزَلَ الله ﷻ على رسوله ﷺ من الكِتاب والحكمة ليُعدُّ من أفضل ما تصرف فيه الأوقات، وتفنى فيه الأعمار، وتبذل في سبيله الأموال، حتَّى الله ﷻ لم يأمر نبيَّه ﷺ بطلب الزيادة من شيء إلا من الاستزادة من علم الوحي فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾ [طه: ١١٤].

وقد قيَّض الله ﷻ لهذه الأمَّة علماء راسخين، ذوي عقول ثاقبة، وقلوب واعية، اجتباهم بحكمته، وهداهم بفضله، فوجَّهوا جُلَّ جهودِهم إلى تفسير كتاب الله العزيز، وقضوا حياتهم بالعناية به ومُدارسته، سالكين طرائق شتَّى في بيانه ودراسته، كلٌّ بحسب علمِه وما أدَّاه إليه اجتهاده، فتركوا لنا ولمن بعدنا ثروةً عِلميَّةً تمثَّلت في كتب التفسير التي امتلأت بها رفوف المكتبات شرقا وغربا، فنقلوا لنا الدين وحفظوه في هذه الأسفار؛ فكان لزامًا على طلاب العلم وبالأخصِّ أهل الشريعة منهم أن يدرسوا هذه المادة ويطَّلعوا عليها نظرا لما تكتنزه من فوائد ودُرَر أهمُّها:

1. يعدُّ تفسير كلام الله أشرف الأعمال وأنبلها لتعلُّقها بكلام الله ﷻ، كما أنَّ المفسِّرين هم أفضل الناس مرتبة عند الله بعد الأنبياء كما قال مجاهد: "أحبُّ الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل"[1].
2. أنها تغرس لدى طلاب العلم الشرعي الاحتكام إلى القرآن الكريم وذلك بمعرفة مراد الله تعالى من الآية.
3. يتعرَّف الطالب على المنهجية العلمية في كيفية فهم آيات الله.
4. إنَّ دراسة الطالب لهذه المادة ستُوقفه على جهود العلماء عبر الأزمنة، ومختلف الأمكنة، وما بذلوه من نفس ونفيس في خدمتهم لتفسير كلام الله.
5. يقف الطالب على أهمية المادة من خلال اطِّلاعه على النتاج العلمي، والثراء الفقهي، والتنوع المذهبي من خلال مدارس التفسير القديمة والمعاصرة، ومنهجيتها في تبيان وتفسير كلام الله.

---

[1] . ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، حققه: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، ج1، ص40.

6. يستفيد الطالب من الأحكام والحِكم والعبَر المستنبطة من خلال ما يعرض له من تفسير الآيات.
7. تمكِّن الطالب من مواكبة الأحداث، ومسايرة المستجدات وذلك من خلال وقوفه وتمرُّسه واطلاعه على أهمِّ المصادر والمراجع المتعلقة بالمادة.
8. تعلِّم الطالب المنهجية الصحيحة في كيفية تفسير كلام الله وفق نماذج مدروسة، وتبيِّن له طريقة التَّعامل مع نصوص القرآن الكريم.
9. تدرِّب الطالب على الاستشهاد بالأدلة القرآنية، وتُنمِّي فيه الشخصية العلمية في مجال تحليل الآيات وفهمها.
10. تكسب الطالب مهارات التعامل مع اختلافات المفسرين في معنى الآية الواحدة.
11. تعرِّف الطالب على أهمِّ مصادر التفسير التحليلي على اختلاف مناهجها ومدارسها.

الهدف من تدريس المادة:

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «من أراد العلمَ فليثوّر القرآن، فإنَّ فيه علمَ الأوَّلين والآخرين»[1].

من أهمِّ أهداف تدريس المادة:

1. بلوغ الغاية من نزول كلام الله وذلك بالوقوف على الآيات تفسيرًا، وتدبُّرا، وتطبيقا.
2. إبراز علم تفسير كلام الله، وتيسيره على الطلبة وتحبيبه لهم.
3. إثارة الاهتمام بعلم التفسير لدى طلبة العلم الشرعي ليكتبوا فيه، ويثروه بالبحث، والتأليف.
4. تشجيع الباحثين على التأليف في الدراسات القرآنية، وتقديم أحسن الفُهوم لكلام الله، بما يخدم الإنسان.
5. تمكِّن الطالب من معرفة الحقائق المودعة في القرآن: كمعرفة مهمَّته في هذه الدنيا، ومآله، وحقيقة الدنيا، وحقيقة الشيطان...
6. تبيان حاجة الأمة إلى تفسير القرآن، وبيان معانيه، ودعوتهم بالقرآن وتذكيرهم به وإنذارهم بما فيه من الوعيد، وتبشيرهم بما تضمَّنه من الوعود لأهل الطاعة.

[1] . الطبراني، المعجم الكبير، حققه: حمدي بن عبد المجيد، ط2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1983م، ج9، ص136، رقم الحديث: 8666.

مصادر المادة ومراجعها:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وفسَّره النبي ﷺ كاملا بأفعاله كما قالت أُمُّنا عائشة رضوان الله عليها واصفة النَّبي ﷺ بأنه كان قرآنا يمشي على قدمين، وكان صحابته ﷺ يفهمون القرآن بسليقتهم، لأنَّ القرآن نزل بلسانهم، كما أنَّهم عايشوا التنزيل والأحداث التي عقَّب القرآن عليها، وكان بعضهم يَشْكل عليه فهم بعض آيه فيرجعون إلى النبي ﷺ فيفسِّر لهم ما يحتاجونه، وبعد وفاته ﷺ نهج الصحابة ومن بعدهم من التابعين إلى سؤال الراسخين منهم في العلم فكان جوابهم للمسائل عن طريق النَّقل سواء من القرآن أو مما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ أو عن طريق العقل وذلك بالاجتهاد والنظر فيما لم يرد فيه نصٌّ.

وظلَّ الأمر هكذا إلى أن ظهرت المدارس التفسيرية على يد الأئمة والعلماء فأثرَوْا المكتبات بمؤلفاتهم القيِّمة، ومن أشهر المؤلفات التي اختصَّت بتفسير القرآن الكريم قديما وحديثا هي على الترتيب الزمني لوفياتهم رحمة الله عليهم:

أولا: من المتقدِّمين:

1. . جامع البيان في تأويل أي القرآن. محمد بن جرير الطبري (ت"310هـ).
2. . معالم التنزيل. لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ).
3. . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت:538هـ).
4. . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي محمد عبد الحق بن عطية (ت:546هـ).
5. . زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ).
6. . مفاتيح الغيب أو ما يسمى بـ: التفسير الكبير، أبو عبد الله، محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت: 606هـ).
7. . الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي (ت: 671هـ).
8. . أنوار التنزيل وأسرار التأويل. لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت: 691هـ).
9. . مدارك التنزيل وحقائق التأويل. لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت:701هـ).

10. . البحر المحيط. لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ).

11. . تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ).

12. . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:982هـ).

ثانيا: من المتأخِّرين:

13. . فتح القدير. لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ).

14. . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ).

15. تيسير التفسير، امحمَّد بن يوسف اطفيش المشهور بقطب الأئمة (ت:1332هـ).

16. في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد ابن باديس (ت:1359هـ).

17. . تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ).

18. . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ).

19. . في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ).

20. . التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ).

21. . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي(ت:1393 هـ).

22. . التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ).

23. . زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ).

24. نفحات الرحمن في رياض القرآن، محمد بن إبراهيم سعيد كعباش.

المنهج المتبع في تفسير الآيات:

.كتابة الآيات المراد دراستها بالرسم العثماني.

. شرح المفردات الغريبة في الآيات إن وجدت.

. تقديم المعنى الإجمالي للآيات.

. ذكر لطائف التفسير.

. ذكر القراءات المتواترة إن وجدت مع توجيهها وعزوها للقرَّاء.

. ذكر أسباب النزول المتعلقة للآيات شريطة أن يكون صحيحا وصريحا.

. فهم الآيات في سياقها التي وضعت لها وذلك بذكر المناسبة اللاحقة والسابقة للآية حتى لا يُبتر النَّص القرآني ويُجتزأ.

. بيان مراد الله ﷻ من الآية الكريمة بالرجوع إلى مختلف كتب التفسير.

. استخلاص الدروس والعبر والسنن الإلهية من خلال نصِّ الآية القرآنية.

. وضع أسئلة في نهاية كل محاضرة تعين الطالب على الإلمام بالجوانب التي لم يتناولها في المحاضرة، وسمَّيناها بـ "النشاط التقويمي".

نشاط تقويمي:

. اذكر الأدلة من الكتاب والسنة والتي تحرم على الإنسان الإقدام على تفسير كلام الله ﷻ بغير علم.

. من خلال اطلاعك على تفاسير المعاصرين، ما هي أسباب كثرة ظهور هذه التفاسير في القرنين الثالث عشر والرابع عشر هجري؟

. ميِّز بين التفسير والتأويل في اللغة والاصطلاح.

* * *

المحاضرة الثانية: التفسير التحليلي: مفهومه، ومتعلَّقاته، والحاجة إليه، وأهمِّيته، وشروطه.

أولا: مفهوم التفسير التحليلي:

1. **التفسير لغة:** التفسير مصدر على وزن "تفعيل"فعله الثلاثي "فَسَرَ"والفعل الماضي من المصدر "تفسير" مضعَّف بالتشديد وهو "فسَّرَ"، والجذر الثلاثي للكلمة هو: الفَسْرُ".

قال ابن فارس: "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه. من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفسَّرتُه"[1].

وقال ابن منظور: " الفَسْرُ البيان فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ أَبانه والتَّفْسيرُ مثله، الفَسْرُ كشف المغَطّى والتَّفْسير كَشف المراد عن اللفظ المشْكل"[2].

وقال الراغب الأصفهاني: "الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول،..والتَّفْسِيرُ في المبالغة كالفسر" [3].

إذن فاشتقاقات الكلمة وتصريفاتها ترجع إلى المعنى الأصلي لمادة: فَسَرَ وهو: البيان، والكشف، والإظهار.

2. **التفسير اصطلاحا:** اختلفت تعريفات علم التفسير اختلافا متباينا، وذلك بسبب اختلاف أنواع التفسير ومناهج المفسرين.

فقد عرَّفه الزركشي بقوله: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"[4].

وعرَّفه الزرقاني بقوله: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[5].

وعرَّفه ابن عاشور بقوله: "التفسير هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[1].

---

[1] . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، حققه: عبد السَّلام محمد هَارُون، 2002م، ج4، ص402. مادة: فسر.

[2] . ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج5، ص55، مادة: فسر.

[3] . الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، دمشق، 1412هـ، ص636.

[4] . الزركشي محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1957م، ج1، ص13.

[5] . الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج2، ص3.

3.مفهوم التفسير التحليلي كمركب إضافي:

التفسير التحليلي هو أن يلتزم المفسِّر تسلسل النظم القرآني والسير معه سورةً سورةً وآيةً آيةً. وهو النمط الذي سلكه سائر المفسرين القدامى إلا القليل النادر [2].

والتَّفسير التَّحليلي ينصبُّ على معرفة دلالة الكلمة اللُّغوية، ومعرفة دلالتها الشرعية، والتَّعرف على الرَّابط بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في السورة، وكذلك التَّعرف على القراءات وأثرها على دلالة الآية، ووجوه الإعراب ودورها في الأساليب البيانية وإعجاز القرآن الكريم، وغيرها من الوجوه التي تساعد على إخلاء المعنى وتوضيح المراد[3]. فالتفسير التحليلي يعنى بالدِّقة والعمق في استعمال العلوم التي يحتاج إليها المفسّر وخصوصا اللغوية والبلاغية؛ بحيث يسير المفسِّر في هذا البيان مع آيات السُّورة آية آية، شارحا مفرداتها، وموجِّها إعرابها، وموضِّحا معاني جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ومبيِّنا أوجه المناسبات بين الآيات والسُّور، مستعينا في ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصِّلة بالموضوع والذي يطلق عليه تفسير القرآن بالقرآن، وبذكر أسباب النزول الصحيحة الصَّريحة، وما ثبت عن النَّبي ﷺبأحاديثه، وبما صحَّ عن الصَّحابة و التَّابعين، وبغير ذلك من العلوم التي تعينه على فهم النَّصِّ القرآني، وتوضيحه للقرَّاء، مازجًا ذلك كلِّه بما يستنبطه عقله من أحكام وحِكم، ولطائف بيانية، ونكتٍ بلاغية [4].

ثانيا: ما يتعلَّق بالتفسير التحليلي:

موضوعه: كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة [5].

فائدته: التَّذكُّرُ والاعتبار، ومعرفة هداية الله في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق ليفوز الأفراد والمجاميع بخير العاجلة والآجلة [1].

---

[1] . ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، 1984م، ج1، ص11.

[2] . فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط1، الناشر: إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، 1986م، ج3، ص862.

[3] . مصطفى مسلم، باحث في التفسير الموضوعي، ط4، دار القلم؛ 2005م، ص52.

[4] . ينظر: تأليف مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة؛ ؛ الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 2002م، ص: 278.

[5] . السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974م، ج2، ص466

حكمه: أجمع العلماء على أنَّ التَّفسير من فروض الكفايات [2]، ولكن يتعيَّن على المسلم معرفة حلاله وحرامه، وأوامره ونواهيه، وجميع ما تعلَّق بالعقائد ممَّا لا يسعه جهله، كمعرفة الله ﷻ وأسمائه وصفاته، ومعرفة ما يقيم به فرائضه وعباداته، ومعرفة كلِّ ما تستقيم به شؤون حياته المالية والزَّوجية...

فضله: يقول الأصفهاني: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن الكريم؛ ذلك أن شرف الصناعة يكون إما بشرف موضوعها أو بشرف غرضها أو بشدة الحاجة إليها، والتفسير قد حاز الشرف من الجهات الثلاث فموضوعه كلام الله تعالى، والغرض منه الوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية [3].

واضعه: هو النَّبي ﷺ فهو أوَّل من فسَّر القرآن، إذ فسَّر عليه السلام بعض القرآن بأقواله على حسب ما يُسأل عنه ﷺ من أمورٍ أُشكلت على بعض أصحابه رضي الله عنهم، وفسَّره كلَّه بأفعاله وأخلاقه فصار ترجمان القرآن كما وصفته أمُّنا عائشة رضي الله عنها: أنَّه ﷺ قرآن يمشي على قدمين، وكما بيَّن الله المقصد من بعثة النبي ﷺ فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤].

استمداده: من علم اللُّغة، والنَّحو، والتَّصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات؛ ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، ومعرفة المكي والمدني... [4].

أنواعه: يجب أن نفرِّق بين مدارس التفسير وبين أنواع التفسير، فمدارس التفسير هي مناهج المفسِّرين في تفسيرهم لكلام الله ﷻ وهي:

أ-منهج التَّفسير بالمأثور: أو ما يسمَّى التَّفسير بالمنقول، أو تفسيرٌ بالرِّواية: وهو الذي يُعتمد فيه على تفسير القرآن بالقرآنِ، أو بالسُّنَّة الثَّابتة؛ لأنَّها جاءت مبيِّنة لكتاب الله، أو بما رُوِي عن الصَّحابة؛ لأنَّهم أعلم النَّاس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التَّابعين؛ لأنَّهم تلقَّوا ذلك غالبًا عن الصَّحابة.

---

1 . الزرقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ج2، ص9.

2 . السيوطي، الإتقان، مصدر سابق، ج2، ص465.

3 . ينظر: الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، جامعة طنطا، 1999م، ص36.

4 . ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج1، ص13.

وهذا المسلك يتوخَّى الآثار الواردة في معنى الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير أصل، ويتوقَّف عما لا طائل تحته ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح [1].

ومن أهم المؤلفات في منهج التفسير بالمأثور:

1. . جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري.
2. . الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي.
3. . تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي

ب- منهج التَّفسير بالمعقول: ويسمَّى أيضا التَّفسير بالرَّأي المحمود، والمراد بالرَّأي: الاجتهاد المنضبط بضوابط علمية، كما يطلق عليه: التفسيرُ بالدِّراية، وهو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسّر لكلام العرب، ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالتها، ومعرفة أسباب النُّزول، وعلم القراءات، والمناسبات، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر؛ غير أنَّ الاجتهاد يجب أن يكون منضبطا بقواعد علميَّة ومنهجيَّة.

والتفسير بالمعقول يعني إعمال النَّظر العقلي واتِّباع طرق الاستدلال في بيان المعاني والأحكام المستمدَّة منها فيما لم يرِد دليلٌ قاطع عليه، وأصحاب هذا التفسير يستمدون حجتهم من قول الله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]، ومن قوله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]؛ وشرط جواز هذا التفسير أن يكون محكوماً بضوابط اللُّغة والأدلة الشرعية المحكمة.

ومن أهم المؤلفات في منهج التفسير بالمعقول:

. مفاتيح الغيب أو ما يسمى التفسير الكبير لفخر الدين الرَّازي.

. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري.

أمَّا أنواع التفسير فهي الخطط والأساليب التي عرض المفسِّرون تفاسيرهم من خلالها، وطبَّقوا مناهجهم عليها، وهي على أربعة أنوع:

1. التفسير التحليلي: هو التزام المفسِّر تسلسل النظم القرآني والسير معه سورة سورة وآية آية، وهو النمط الذي سلكه سائر المفسرين القدامى، بحيث يقف المفسِّر عند كل آية من القرآن؛ وبل عند كل

1 . مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2000م، ص358.

كلمة منها، فيقوم بتحليلها تحليلا موسَّعا مفصَّلا متطرِّقا فيها إلى مسائل العقيدة والفقه واللغة، وسائر مباحث علوم القرآن.

وتفاسير هذا اللون منها ما هو متوسط الحجم والكمِّ: كتفسير الزمخشري، وابن جزِّي، ومنها ما هو مفصَّل أكثر كتفسير ابن كثير وابن عطية، ومنها ما هو موسَّع مطوَّل كتفسير الطبري، والرازي، وابن عاشور.

2. التفسير الإجمالي: هو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني أيضا سورةً سورةً، إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالا، مبرزا مقاصدها موضحا معانيا مظهرا مراميها، ويجعل بعض "ألفاظ" الآيات رابطا بين النص وبين تفسيره [1]؛ ممَّا يعني أنَّ المفسِّر لا يدخل في التَّفاصيل الدَّقيقة، والمباحث المتخصِّصة، وإنَّما يهتمُّ ببيان المعنى العام باختصار.

ومن التفاسير الإجمالية للقرآن:

. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي النيسابوري.

. تفسير الجلالين للسيوطي والمحلِّي.

. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي.

3. التفسير المقارن: حيث يقوم الباحث فيه بإجراء مقارنات بين عدَّة تفاسير على اختلاف مناهجها، كأن يقارن بين عدة تفاسير في مسألة عقدية كآيات زيادة الإيمان، أو في مسألة فقهية كآيات الصيام، أو لغوية كأسلوب القَسم... فيعقد مقارنات بين هذه التفاسير التي اختارها ليتعرَّف على الآراء المختلفة في المسألة الواحدة، ويوازن بين آرائهم ويستعرض استدلالاتهم للنظر فيها؛ وبناء عليها ينتقد ويرد الباحث القول المرجوح مبيِّنا تعليله بإيراد الأدلة عليه ثم الاستدلال للرَّاجح بعد بيانه.

وهذه المقارنة لا تشمل تفسير القرآن كله؛ لأن هذا غير وارد، وإنما تكون خاصة بموضوع معيَّن من القرآن، أو سورة قصيرة.

4. التفسير الموضوعي: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر؛ حيث يلتزم المفسر بموضوع قرآني واحد يجمع الآيات الواردة فيه؛ ليتناولها بالتفسير مجتمعة ليصل بعد ذلك -حسب جهده- إلى حكم القرآن النهائي في موضوعه الذي يتناوله [2].

---

[1] . فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مرجع سابق، ج3، ص862.

[2] . المرجع نفسه، ج3، 862.

فإذا كان التفسير التحليلي يتتبع كل آية ويفسرها على حده، فيذكر ما يتعلق بها من الناحية اللغوية، والعقائدية، والفقهية، والكلامية إلى جانب ما يتعلق بها من ناحية مباحث علوم القرآن الأخرى؛ فإن التفسير الموضوعي هو جمع الآيات القرآنية التي تعالج موضوعا واحدا وهدفا واحدا، بالدراسة والتفصيل، فيتناول جانبا واحدا من جوانب القرآن الكريم بالبحث والدراسة، كتناول موضوع: الإيمان والكفر والنفاق في القرآن، الأخلاق في القرآن، اليهود في القرآن، المرأة في القرآن؛ وللتفسير الموضوعي أشكال ثلاثة وهي: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، و التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، و التفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

ومن أشهر مؤلفاته:

. مباحث في التفسير الموضوعي: لمصطفى مسلم.

. المدخل إلى التفسير الموضوعي: لعبد الستار فتح الله السعيد.

وكل هذه التفاسير الأربعة المذكورة لا يمكن الفصل بينها فصلًا رياضيًا بحيث تنقطع وشائج القربى بينها ويكون لكل نوع مجاله وأسلوبه ونتائجه؛ فهي خادمة لبعضها البعض، ولا يمكن أن تستقلَّ واحدة منها عن البقية؛ لأن مجال البحث واحد وهو كلام الله سبحانه وتعالى، والغاية التي يهدف إليها المفسر واحدة أيضًا وهي الكشف عن مراد الله سبحانه وتعالى من الآيات على قدر الطاقة البشرية، إلا أن مناهج المفسرين للوصول إلى الغاية هي التي تختلف بعض الشيء.

وحتى هذا الاختلاف في المنهج ليس اختلاف تباين وانفصال وتضاد بل هو اختلاف تنوع وتعاضد وترادف.

وبعض أنواع التفسير تعتبر أساسًا للانطلاق منه إلى غيره فلا يستغني عنه المفسر الباحث في أي نوع من أنواع التفسير.

فالتفسير التحليلي لا يستغني عنه الباحث في التفسير الإجمالي أو الموضوعي أو المقارن [1].

ثالثا: الحاجة إلى تفسير القرآن:

يقول السيوطي: "إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أَفْصَحِ العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أمَّا دقائق باطنه فإنَّما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النَّبي ﷺ في الأكثر كسؤالهم لما نزل قوله: {ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه ففسره النبي ﷺ،

[1] . ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص52.

واستدل عليه بقوله: {إن الشرك لظلم عظيم} وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال: "ذلك العرض" وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللُّغة بغير تعلُّم فنحن أشدُّ النَّاس احتياجًا إلى التَّفسير"[1].

فمن فحوى كلام الإمام السُّيوطي تتأكد الحاجة إلى علم التفسير وبالأخص في عصرنا الحاضر نظرا لما يأتي:

. بُعدنا عن اللسان العربي المبين الذي نزلت به لغة القرآن، فتجد الكثير ممَّن يصلي بقصار السُّور لسنوات ولا يعرف تفسير معاني كثيرٍ من مفرداتها مثل: المسد، جيدها، الصمد، كفؤا، الفلق، غاسق، وقب....

. بُعدنا عن عصر التنزيل، فنحن لم نر المشاهد، ولا الوقائع، ولا الأحداث المختلفة التي نزل القرآن معقِّبا على كثير منها سواء ما تعلَّق منها بالأشخاص، أو الأمكنة، أو الأزمنة...فاحتجنا إلى تفسيرها بالرجوع إلى كتب التفسير التي بيَّنت أسباب النزول، وميَّزت بين المكي والمدني، وأظهرت الظرف الذي نزلت فيه الآيات، وما أجمل مقولة عبد الله بن مسعود ﷺ الذي قال: «والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدا هو أعلم بكتاب الله مني، تبلغه الإبل، لركبت إليه»[2].

. عدم إلمامنا بعلوم القرآن المختلفة والتي هي أساس مفتاح علم التفسير: كعدم معرفتنا بعلم القراءات، والمناسبات، والمحكم والمتشابه، والمجمل والمفصَّل، وقصصه وأمثاله...

. التفسير المنهجي المنضبط بضوابط علمية تمكِّن الإنسان من استخراج الكنوز والذخائر واللآلئ التي أودعها الله ﷻ في كتابه ليسعد بها في الدَّارين، وبدون التَّفسير لا يمكن الوصول إلى هذه المكنونات مهما بالغ الإنسان في تجويد ألفاظ القرآن، وواظب على قراءته كلَّ يوم بجميع وجوهه التي نزل عليها.

ومن هنا تتأكد الحاجة إلى التَّفسير في زمننا الحاضر؛ لأنَّ زماننا لا يفتقر إلى المصاحف فهي بالملايين، ولا يفتقد إلى الحفَّاظ المقرئين فهم بالآلاف؛ في حين أنَّ جيل الرَّسول ﷺ وأصحابه

---

[1] . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج4، ص196.

[2] . مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود ﷺ، ج4، ص1913، رقم الحديث: 2463.

والتَّابعين لم تكن نسخ القرآن متاحة لجميعهم لعدم توفر أدوات الكتابة لديهم، ولم تكن وسائل الحفظ التي نمتلكها مسخَّرة عند أحدٍ منهم؛ ومع ذلك تمكَّنوا وسادوا مشارق الأرض ومغاربها؛ لأنَّهم كانوا يسألون عن تفسير الآية ومعرفة معناها ومغزاها ليعملوا بمقتضاها قبل أن يتسابقوا إلى حفظها وترنيمها!!.

وأودُّ أن أنقل سؤالا طرحه الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وأجاب عنه بأجوبة مقنعة، وهذا نصّه: " ولعلك تسأل فتقول:

فإذا كان القرآن كتابا مبينا، وقد نزل إلى الناس ليقرؤوه فيفهموه، فينبغي أن يكون غنيا عن التفسير والمفسرين؛ وينبغي أن يكون مفهوما بذاته لأن الله تعالى إنما يخاطب عباده بما يفهمونه، ففيم احتيج إلى تفسيره؟

فالجواب: الحاجة إلى تفسير القرآن ليست بسبب أنه كتاب مبهم يحتاج إلى مفتاح له ومترجم عنه وإنما الحاجة إليه من وجوه أخرى نجملها فيما يلي:

الوجه الأول: أن القرآن جار على أسلوب يصلح أن يخاطب به طبقات الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافاتهم (كما سنشرح ذلك فيما بعد) فهو يعطي كلّا، من معانيه وأحكامه قدر طاقته وما يتسع له فكره؛ فإذا أراد القارئ أن يستشف منه ما وراء ذلك وينتهي في سبر أغواره إلى أكثر مما فهمه منه بطبيعته وفكره، فإن سبيله إلى ذلك الرجوع إلى فهم من هم أوسع منه علما وأغزر ثقافة وفهما ليبصروه بما وراء الذي انتهى عنده علمه من دلائله ومعانيه.

فهذا وجه من وجوه الحاجة إلى التفسير.

الوجه الثاني: أن القرآن- كما قال الزركشي- كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان للوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار، فإن الإنسان يمكن علمه بمراد المتكلم بأن يسمع منه أو ممّن سمع منه [1]. ومن هنا تجد القرآن محاطا بسور من الرهبة والجلال يمنع قارئه أن يسرع فيقتحم إليه بالشرح والتفسير كما يشرح الكتب الأخرى. وإنما الشأن أن يتوسط إلى ذلك بما قد أثر من تفسير النبي ﷺ له أو أثر من تفسيرات الصحابة رضوان الله عليهم، فهو الذي أوحي إليه القرآن مباشرة، وهو الذي أمره الله عزّ وجلّ بأن يبيّن للناس ما نزل إليهم. فهذا وجه ثان في الحاجة إلى تفسيره والاطمئنان إلى حقيقة معانيه المرادة منه.

[1] - الزركشي محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1957م، ج1، ص16.

الوجه الثالث: إن القرآن كتاب يحوي بين دفتيه مبادئ العقيدة والتوحيد، كما يحوي مبادئ الشريعة وأحكام الحلال والحرام، ويشمل التوجيهات الأخلاقية ومبادئ التنظيمات الاجتماعية، إلى جانب ما فيه من عبر الأمم الماضية والإخبار عن المغيبات ووجوه النقاش والحجاج.

فلا جرم أنه إنما يتناول كل ذلك ويعالجه بأسلوب من التركيز والاختصار يضمن للقارئ الفهم الموجز الكلي من ناحية، ويحمله على البحث والدرس والوقوف على تفصيلات ذلك من ناحية أخرى. فكانت الحاجة إلى تفسير القرآن من هذه الجهة استجابة للغرض المتعلق بتفصيل موجزاته وشرح كلياته.

الوجه الرابع: أن المعنى الذي يراد بتفسير القرآن بعد كل هذا الذي ذكرناه- ليس متوقفا على شرح الكلمة وترجمتها، وإنما هو يتعدى ذلك إلى وجوه وأنواع من الاستنباطات المتعلقة بدقائق المباحث والعلوم، تختلف حسب اختلاف وجهة المفسّر واختصاصه من عربية وأصول فقه وتوحيد وكونيات.

والقرآن «كما قد علمت وستعلم» ذو دلالات متسلسلة لا تكاد تتناهى. وإنما سبيل الكشف عنها أو عن بعضها، بعكوف أرباب الاختصاصات عليه بالدرس والبحث والتفسير.

فهذه هي خلاصة الأسباب الداعية إلى تفسير القرآن وشرحه. وهي كما رأيت، أسباب لا تتنافى مع كونه كتابا عربيا غير ذي عوج، ولا تتعارض مع ما هو مقرر ثابت من أن الله إنما يخاطب عباده بما يفهمون" (1).

رابعا: أهمية تفسير القرآن الكريم:

تنبع أهمية تفسير القرآن الكريم من حاجة الناس إليه في حياتهم؛ لفهم كتاب الله سبحانه وتعالى ومعرفة أحكامه، كما تتمثل أهميته أيضا فيما يأتي:

1. . علم التفسير به يزداد المؤمن معرفة بربه، وبه يُفهم مراد كلام الله ﷻ، وبه يعرف الخلق مرادا الخالق ﷻ من خلقه.
2. . فهم معاني القرآن الكريم ومقاصده، وبيان المراد من الألفاظ المحتملة لأكثر من معنى، قال تعالى﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص: ٢٩].

[1] . محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م، ص71.

ومثال ذلك: الصلاة التي تحتمل أن يراد بها الدعاء في قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أو أن يراد بها الصلاة المفروضة كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﴾ [البقرة: ٤٣].

3. . استخراج الأحكام الشرعية من القرآن الكريم؛ للوقوف على حلاله وحرامه، وأوامره ونواهيه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾[النساء: ٨٣].

خامسا: شروط تفسير القرآن الكريم.

ينبغي ألاَّ يتصدَّى للتَّفسير من لم يُحط بمجمل الشُّروط التي حدَّدها العلماء والتي بها يُبَيَّن المراد من كلام الله تعالى وأهمُّها:

1. . التَّجرُّد عن الهوى وعن الأفكار المسبقة: فلا بدَّ لمن يُقدم على التَّفسير أن لاَّ يَحمل في عقله مفاهيم مُسبقة، وأحكام مذهبية معتمدة؛ بل يترك القرآن هو الذي يحكم ويفنِّد ﴿ **إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ** ﴾ [الإسراء: 9]، لأنَّ المنحرف في العقيدة والمنهج يسعى إلى ليِّ أعناق الآيات، ويتكلَّف في تفسيرها لتتناسب مع أهوائه وأفكاره المسبقة، وعليه فلا بدَّ أن يُقبل على القرآن متعلِّما لا معلِّما له.

2. . أن يبدأ أولًا بتفسير القرآن بالقرآن، فما أُجْمل منه في موضع فإنَّه قد فُصِّل في موضع آخر، وما اختُصر منه في مكان فإنَّه قد بُسط في مكان آخر.

3. . أن يطلب التَّفسير من السُّنَّة فإنَّها شارحة للقرآن موضِّحة له.

4. . أن يكون المفسِّر عالما بأصول التَّفسير: وذلك أنَّ أصول التَّفسير بمثابة مفاتيح لعلم التَّفسير، فلا بدَّ للمفسِّر أن يكون عالما بالقراءات، وأسباب النُّزول، وعلم المناسبات ونحوها.

5. . أن يكون عالما باللُّغة وعلومها: كالنَّحو والصَّرف والاشتقاق، والبلاغة بأقسامها الثلاثة "المعاني والبيان والبديع"؛ ذلكم أنَّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيٍّ مبين، وهذه العلوم ممَّا يتوصَّل بها إلى معرفة المعنى، وخواصِّ التَّركيب، ووجوه الإعجاز فيه.

6. . العلم بأصول العلوم المتَّصلة بالقرآن، كعلم أصول الفقه، وأصول التَّفسير، وأصول التوحيد، ومعرفة أحداث السيرة....

7. . دقَّة الفهم التي تمكِّن المفسِّر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتَّفق مع نصوص الشَّريعة.

8. . لا بدَّ للمفسِّر أن ينظر إلى القرآن كوحدة متكاملة فلا يجزِّئ فهمه، أو يجعله عضين، فلا يفسِّر آية يَخْرج بها عن كلِّيات القرآن أو تتعارض مع غيرها.

9. . كما عليه أن يتخلَّق بأخلاق القرآن، وأن يكون سمْتُه حسنًا، ونيَّته صادقة، وأن يكون وَرِعًا تقيًّا وقَّافا عند حدود الله، جاهرًا بالحق، متحرِّيا بالصِّدق، متواضعًا أمام الحقِّ.

10. . سلامة الإيمان والاعتقاد، ليبتعد عن التحريف والتأويل الزائغ للآيات.

11. . فهم القواعد الأصولية ومقاصد الشريعة للتمكن من استنباط الأحكام الشرعية.

12. . العلم بالظروف التي صاحبت نزول القرآن الكريم ومعرفة أحداث السيرة النبوية لفهم أبعاد النص القرآني.

نشاط تقويمي:

. اذكر أعلام المفسرين الجزائريين منذ نهاية القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا.

. اذكر الأدلة من الكتاب والسنة تبيِّن فيها فضل الاشتغال بعلم التفسير.

* * *

المحاضرة الثالثة: أولا: بين يدي سورة النبأ

التعريف بالسورة: سُورَةُ النبأ هي سورة مكية، من المفصَّل، وتعدُّ الثمانين في ترتيب نزول السُّوَر عند الإمام جابر بن زيد، وهي الثامنة والسبعون في ترتيب سور المصحف الشريف [1]، وهي أوَّل سورة في الجزء الثلاثين وسُمِّي الجزء بأوَّل كلمة بها جزء عمَّ، وبدأت بأسلوب الاستفهام :عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ!، ولم يذكر فيها لفظ الجلالة، ونزلت بعد سورة المعارج، وقبل سورة النازعات.

وعدد كلمها مائة وَثَلَاث وَسَبْعُونَ كلمة، وحروفها سبع مائة وَسَبْعُونَ حرفا، وآياتها إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ آيَة فِي الْبَصْرِيّ وَأَرْبَعُونَ فِي عدد البَاقِينَ؛ اختلافها آيَة {عذَابا قَرِيبا} عدَّهَا الْبَصْرِيّ وَلم يعدها الْبَاقُونَ [2].

تسميتها: سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير وكتب التفسير السنة «سورة النبأ» لوقوع كلمة «النبأ» في أولها، وسميت في بعض المصاحف وفي صحيح البخاري، وفي تفسير ابن عطية، والكشاف بسورة «عمَّ يتساءلون». وفي تفسير القرطبي سماها «سورة عمَّ» أي: بدون زيادة «يتساءلون» تسمية لها بأول جملة فيها.

وتسمى «سورة التساؤل» لوقوع «يتساءلون» في أولها. وتسمَّى «سورة المعصرات» لقوله تعالى فيها: وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا [3].

سبب نزول السورة:

روى الإمام ابن جرير الطبري أنه قال: حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا وكيع بن الجراح، عن مِسعر، عن محمد بن جحادة، عن الحسن، قال: لما بُعِث النبيّ ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) [4].

---

[1] - سعيد كعباش محمد بن إبراهيم، نفحات الرحمن في رياض القرآن، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2015م، ج14، ص268.

[2] . أبو عمرو الداني، البيان في عدّ آي القرآن، حققه: غانم قدوري الحمد، ط1، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، 1994م، ص262.

[3] . ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30، ص5.

[4] - الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، حققه: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ج24، ص149.

وروي عن ابن عباس أنه قال: «كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتتحدث فيما بينها فمنهم المصدق ومنهم المكذب به» فنزلت: عم يتساءلون [1].

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

تظهر المناسبة بين افتتاحية سورة النبأ وختامها جليًّا وذلك أنَّ السورة افتتحت بسؤال الكفار عن يوم البعث وتكذيبهم له واستهزائهم به، فجاء في ختامها الجواب القاطع عن سؤالهم الإنكاري بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩﴾.

مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السُّورة لما قبلها وهي سورة المرسلات من وجوه ثلاثة:

1- تشابه السورتين في الكلام عن البعث وإثباته بالدليل، وبيان قدرة الله عليه، وتوبيخ الكفار المكذبين به، ففي المرسلات: أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ؟ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ؟ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً؟؛ وفي هذه قال: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً؟

2- اشتراك السُّورتين في وصف الجنة والنار، ونعيم المتقين وعذاب الكافرين، ووصف يوم القيامة وأهواله.

3- فصّلت هذه السورة ما أجمل في السورة المتقدمة، فقال تعالى في المرسلات: لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ، لِيَوْمِ الْفَصْلِ، وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ؛ وقال سبحانه في هذه السورة: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً... إلى آخر السورة [2].

وقال أبو حيان في مناسبة سورة النبأ لما قبلها أن: "لما ذكر "فبأي حديث بعده يؤمنون"، أي بعد الحديث الذي هو القرآن، وكانوا يَتجادلون فيه، ويُسائلون عنه، قال: عم يتساءلون"[3].

مناسبة السورة لما بعدها:

تظهر مناسبة هذه السُّورة لما بعدها وهي سورة النازعات من وجوه عدَّة:

. تشابه الموضوع: فكلتا السورتين تتحدثان عن القيامة وأحوالها، وعن مآل المتقين، ومرجع المجرمين.

---

[1] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30، ص5.

[2] . الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر، بيروت، 1418هـ، ج30، ص5.

[3] . أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط، حققه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج10، ص383.

. تشابه المطلع والخاتمة: فإن مطلع السورتين في الحديث عن البعث والقيامة، الأولى تؤكد وجود البعث وما فيه من أهوال وحساب وجزاء، والثانية افتتحت بالقسم على وقوع القيامة لتحقيق ما في آخر سورة النبأ. والأولى اختتمت بالإنذار بالعذاب القريب يوم القيامة، والثانية ختمت بالكلام عمَّا في أولها من إثبات الحشر والبعث، وتأكد حدوث القيامة، فكان ذلك كالدليل والبرهان على مجيء القيامة وأهوالها [1].

موضوعات السورة الكريمة:

يقول سيد قطب: افتتحت السورة بسؤال موح مثير للاستهوال والاستعظام وتضخيم الحقيقة التي يختلفون عليها، وهي أمر عظيم لا خفاء فيه، ولا شبهة ويعقب على هذا بتهديدهم يوم يعلمون حقيقته: «عَمَّ يَتَساءَلُونَ؟ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ!»..

ومن ثم يعدل السياق عن المعنى في الحديث عن هذا النبأ ويدعه لحينه، ويلفتهم إلى ما هو واقع بين أيديهم وحولهم، في ذوات أنفسهم وفي الكون حولهم من أمر عظيم، يدل على ما وراءه ويوحي بما سيتلوه: «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً، وَالْجِبالَ أَوْتاداً؟ وَخَلَقْناكُمْ أَزْواجاً؟ وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً؟ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً، وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً؟ وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً؟ وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً؟ وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً؟ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَباتاً وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً؟».

ومن هذا الحشد من الحقائق والمشاهد والصور والإيقاعات يعود بهم إلى ذلك النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، والذي هددهم به يوم يعلمون! ليقول لهم ما هو؟ وكيف يكون: «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً. يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً. وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً. وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً»..

ثم مشهد العذاب بكل قوته وعنفه: «إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً، لِلطَّاغِينَ مَآباً، لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً، لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَلا شَراباً. إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً. جَزاءً وِفاقاً. إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً، وَكَذَّبُوا بِآياتِنا كِذَّاباً، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً. فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً».

ومشهد النعيم كذلك وهو يتدفق تدفقا: «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً: حَدائِقَ وَأَعْناباً، وَكَواعِبَ أَتْراباً، وَكَأْساً دِهاقاً، لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا كِذَّاباً. جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً».

[1] ـ الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص30.

وتختم السورة بإيقاع جليل في حقيقته وفي المشهد الذي يعرض فيه. وبإنذار وتذكير قبل أن يجيء اليوم الذي يكون فيه هذا المشهد الجليل: «رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا الرَّحْمنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً. يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقالَ صَواباً. ذلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ. فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً. إِنَّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً. يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ، وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً».

ذلك هو النبأ العظيم. الذي يتساءلون عنه. وذلك ما سيكون يوم يعلمون ذلك النبأ العظيم! (1).

. محور السورة الكريمة:

إن محور السُّورة يكمن في إثبات البعث بالأدلة المختلفة، لذا ابتدأت السورة بوصف تساؤل المشركين عنه، والإخبار عن يوم القيامة، وما يتبعه من البعث والنشور والجزاء، وأعقبته بتهديد المشركين على إنكارهم إياه: عَمَّ يَتَساءَلُونَ.[1- 5].

ثم أقامت الأدلة والبراهين على إمكان البعث، بتعداد مظاهر قدرة الله على الخلق والإبداع وإيجاد مختلف عجائب الكون، مما يدل على إمكان إعادة الناس بعد الموت: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً.. .[6- 16].

ثم حددت السورة ميقات البعث وميعاده، وهو يوم الفصل بين الخلائق الذي يجمع فيه الأولون والآخرون: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً. [17- 20].

ثم وصفت ألوان عذاب الكافرين، وأنواع نعيم المتقين، بطريق المقابلة والموازنة، والجمع بين الترغيب والترهيب: إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً. [21- 38].

وختمت السورة بالإخبار بأن هذا اليوم حق لا ريب فيه، وبإنذار الكفار بالعذاب الأليم القريب الذي يتمنون من شدته أن يعود ترابا [39 . 40].

والسورة كلها يشيع فيها جو التهويل والتخويف، والتهديد والإنذار، حتى لكأن التالي لها يكاد يلمس الصور الرهيبة لأحداث القيامة، ويتملكه الذعر والخوف من شدائدها وأحوالها (2).

. فضل سورة النبأ:

---

[1] . سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ، ج6، ص ص: 3802 . 3803.

[2] . الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص6.

. روى ابن أبي شيبة في مصنفه قال: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، «أَنَّهُ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِ: يس وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» [1].

. وروى الترمذي بسنده عن ابن عباس قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلاَتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَ{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [2]. ولعلَّ ذلك لما ذكر فيها من أهوال يوم القيامة ومواقفها.

ثانيا: تفسير المقطع الأول من الآية:[1 – 5]:

الإخبار عن البعث وبيان أدلَّة ثبوته.

النصُّ القرآني:

قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ۝١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ۝١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ۝١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ۝١٦﴾.

القراءات القرآنية:

. قَرَأَ ابْن عَامر وَحده {كلا ستعلمون ثمَّ كلا ستعلمون} بِالتَّاءِ جَمِيعًا، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {كلا سيعلمون ثمَّ كلا سيعلمون} بِالْيَاءِ [3].

الإعراب:

. عمّ: مؤلَّف من «عن» الجارة، و «ما» الاستفهامية حذفت ألفها، والجار والمجرور متعلقان بـ «يتساءلون».

. عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ: الجار «عن النبأ» بدل من الجارِّ قبله ويتعلق بما تعلَّق به.

. الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ: «الذي»: نعت لـ «نبأ»، الجار «فيه» متعلق بالخبر «مختلفون».

---

[1] . أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، حققه: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ، ج1، ص315، رقم الحديث: 3600.

[2] . الترمذي، سنن الترمذي، حققه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج5، ص255، حديث رقم: 3297.

[3] - أبو بكر بن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيق، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ، ص668.

. أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا: «مهادا»: مفعول ثان.

. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا: «الجبال»: اسم معطوف على {الأَرْضَ}، «أوتادا»: اسم معطوف على {مِهَادًا}.

. وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا: جملة «وخلقناكم» معطوفة على جملة {أَلَمْ نَجْعَلِ} المتقدمة، «أزواجا» حال.

. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا: «سبعا»: مفعول به، «شدادا»: نعت [1].

البلاغة:

التشبيه: في قوله تعالى «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَالْجِبالَ أَوْتاداً». شبَّه الجبال بأوتاد الخيام التي تمنعها من الاضطراب، كما تمنع الجبال الأرض أن تميد بأهلها.

التشبيه البليغ: في قوله تعالى «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً». ووجه الشَّبه السِّتر، لأنَّ كلا من اللباس والليل يستر المتلبِّس به. والمعنى جعلناه ساترا لكم عن العيون [2].

التحليل اللغوي للمفردات:

﴿**عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ**﴾: ﴿**عَمَّ**﴾: مركب من عن وما الاستفهامية حذفت ألفها لفظا وخطا إذ دخل عليها حرف الجرّ ومعناها عن أي شيء يسأل بعضهم بعضا –أي أهل مكة– والاستفهام للتفخيم والتعجيب، وقد كان التساؤل من أهل مكة عن البعث فيما بينهم، أو يسألون الرسول ﷺ والمؤمنين عنه استهزاء.

﴿**النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾: أي الخبر العظيم، وهو يوم البعث وهو بيان شأن المفخم.

﴿**كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ**﴾: ﴿**كَلاَّ**﴾: للردع والزّجر سيعلمون ما يحلّ بهم عند النزّع وانكشاف الغطاء تهديدا لهم، وهي لردِّ الكلام المتقدم ونفيه، والردع عن التساؤل والوعيد عليه.

﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا**﴾: الاستفهام للتقرير، ﴿**مِهَادًا**﴾: المكان الممهّد المذلَّل كالمهد في قوله تعالى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهاداً [طه: 20]، أي: كالفراش المبسوط تستقرون عليها، يطلق على الواحد وعلى جمع: "مهند"، والاستفهام للتقرير، وهذا بدء ببيان القدرة على البعث بالتذكير ببعض عجائب الكون التي أبدعها الله.

﴿ **وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾: جمع: "وتد" وهو ما يدق في الأرض لربط حِبال الخيمة، فالأوتاد لتثبيت الأرض حتى لا تميد.

﴿**وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا**﴾: السّبات: راحة لأبدانكم بقطع الحركة وإيقافها.

---

[1] - الخراط أحمد بن محمد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1426هـ، ج4، ص1407.

[2] - صافي محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، ط4، 1418هـ، ج30، ص217.

﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا**﴾: شبه اللّيل باللّباس في التّغطية والسّتر، فالله تعالى جعل الليل غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء.

﴿**وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾: أي وقتا لتحصيل المعاش بالكسب والنّشاط.

﴿**وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا**﴾: أي السّماوات السّبع وهي في بنيانها شدادٌ: جمع شديدة، أي لا تصدُّع فيها ولا انشقاق وهي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الدهور والحِقب.

﴿**وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا**﴾: السراج ما يضيء وينير والمراد به الشّمس هي كالسّراج المتوقّد بنوره وحرارته.

﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجًا**﴾: والمعصرات هي السّحب والغيوم التي حان لها أن تعصر الماء، والماء الثجاج: أي شديد الانصباب والتّدفق والهطول.

﴿**لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ اَلْفَافًا**﴾: الحبّ كالقمح والشّعير والذرة مما يكون له قشر وهو ما يقتات به الإنسان، أما النّبات فيشمل الحشيش والتبن وأنواع الكلإ التي بها تقتات الدواب.

﴿**وَجَنَّاتٍ اَلْفَافًا**﴾: وَجَنَّاتٍ بساتين وحدائق، جمع جنة. أَلْفافاً ملتفة الأشجار والأغصان، يلتف بعضها ببعض [1].

التفسير والبيان:

يقول السَّعدي: "عن أي شيء يتساءل المكذبون بآيات الله؟ ثم بين ما يتساءلون عنه فقال: {عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} أي: عن الخبر العظيم الذي طال فيه نزاعهم، وانتشر فيه خلافهم على وجه التكذيب والاستبعاد، وهو النبأ الذي لا يقبل الشك ولا يدخله الريب، ولكن المكذبون بلقاء ربهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم.

ولهذا قال: {كَلا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ} أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون، حين يدعون إلى نار جهنم دعا، ويقال لهم: {هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ}"[2].

سؤال: ما هو النبأ العظيم الذي اختلفوا فيه؟ أجاب عنه القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن فقال: "(الذي هم فيه مختلفون) أي: يخالف فيه بعضهم بعضا، فيصدق واحد ويكذب آخر، فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو القرآن، دليله قوله: قل هو نبأ عظيم. أنتم عنه معرضون فالقرآن نبأ وخبر وقصص، وهو نبأ عظيم الشأن. وروى سعيد عن قتادة قال: هو البعث بعد الموت

[1] - سعيد كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، مصدر سابق، ج14، ص ص: 269 . 270.

[2] . السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ج1، ص906.

صار الناس فيه رجلين: مصدق ومكذب. وقيل: أمر النبي ﷺ. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: وذلك أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن أشياء كثيرة، فأخبره الله ﷻ باختلافهم، ثم هددهم فقال: كلا سيعلمون أي سيعلمون عاقبة القرآن، أو سيعلمون البعث: أحق هو أم باطل. وكلا ردٌّ عليهم في إنكارهم البعث أو تكذيبهم القرآن، فيوقف عليها. ويجوز أن يكون بمعنى حقا أو (ألا) فيبدأ بها. والأظهر أن سؤالهم إنما كان عن البعث، قال بعض علمائنا: والذي يدل عليه قوله ﷻ: إن يوم الفصل كان ميقاتا [النبأ: 17] يدل على أنهم كانوا يتساءلون عن البعث [1].

وقد أورد الله ﷻ في السورة الكريمة الأدلة القاطعة على المعاد الجسمانيّ، فعدَّد تسعة أشياء تثبت صحة وقوع البعث والحشر الذي أنكره المشركون، وتدل على قدرته على جميع الممكنات وعلمه بجميع المعلومات، وهي مرتَّبة كالآتي:

1- 2: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً، وَالْجِبالَ أَوْتاداً أي كيف تنكرون البعث، وقد عاينتم أدلة قدرة الله التامة، من جعل الأرض ممهدة مذللة للخلائق، كالمهد للصبي: وهو ما يمهد له من الفراش، فينوّم عليه، وجعل الجبال الراسيات كالأوتاد للأرض، لتسكن ولا تتحرك، وتهدأ ولا تضطرب بأهلها، كما قال تعالى: وَالْجِبالَ أَرْساها [النازعات 79/ 32].

3- وَخَلَقْناكُمْ أَزْواجاً أي وأوجدناكم أصنافا: ذكورا وإناثا، للأنس والتعاون والحفاظ على النوع البشري. كما قال تعالى: وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [الروم 30/ 21].

4- 5- وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً أي وجعلنا نومكم راحة لأبدانكم وقطعا للحركة ولأعمالكم المتعبة في النهار، فبالنوم تتجدد القوى، وينشط العقل والجسم، والسبات: أن ينقطع عن الحركة، والروح في بدنه.

وجعلنا الليل سكنا وكاللباس الذي يغطي بظلامه الأشياء والأجسام، فكما أن اللباس يغطي الجسد ويقيه من الحر والبرد، ويستر العورات، كذلك الليل يستتر فيه من أراد الاختفاء لقضاء مصالح وتحقيق فوائد لا تتيسر في النهار، كالاستتار من العدو وقضاء بعض الحوائج.

6- وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً أي وجعلنا وقت النهار مشرقا مضيئا ليتمكن الناس من تحصيل أسباب المعايش والتكسب والتجارة والزراعة والصناعة ونحو ذلك من موارد الرزق.

[1] . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، حققه: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ، ج19، ص170.

7- 8- وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً، وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً أي وبنينا فوقكم سبع سموات قوية الخلق، محكمة البناء، متقنة الصنع، مزينة بالكواكب الثوابت والسيارات، وجعلنا الشمس سراجا منيرا على جميع العالم، يستضاء به، ويستنار بنوره، ويشع بحرارته، فإن الوهج يجمع النور والحرارة، وبهما تستفيد جميع الكائنات الحية.

9- وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَباتاً، وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً أي وأنزلنا من السحب والغيوم التي تنعصر بالماء ولم تمطر بعد مطرا منصبا بكثرة، كثير السيلان، لنخرج بذلك الماء الكثير الطيب النافع حبا يقتات به الناس، كالحبوب المختلفة من قمح وشعير وذرة وأرز، ونباتا تأكله الدواب من التبن والحشيش وسائر النبات، وبساتين وحدائق ذات بهجة وأغصان ملتفة على بعضها وثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة، كما قال تعالى: وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ، وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ، وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ، يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ، وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [الرعد 13/ 4].والثج: الصب الكثير المتتابع [1].

ما ترشد إليه الآيات الكريمة:

1. تفخيم شأن البعث وتهويله وتعظيم أمره، وتأكيد وقوعه وأنه حق ثابت لا ريب فيه.
2. سيعلم الكفار المكذّبون صدق ما جاء به محمد ﷺ من القرآن ومما ذكره لهم من البعث بعد الموت، حين يحل بهم العذاب والنكال. وفيه وعيد بعد وعيد.
3. . أن الله تعالى رد على المشركين الذين أنكروا البعث، وأثبت لهم قدرته على البعث والمعاد والحشر والنشر من خلال الإتيان بما هو مشاهد معاين لهم وهو إيجاد عجائب المخلوقات، والقدرة على إيجاد هذه الأمور أعظم من القدرة على الإعادة.
4. . أن الله تعالى ذكر من عجائب مخلوقاته أمورا تسعة للدلالة على بسط نعمائه على هذا الإنسان الكفور، وأنَّ هذه النِّعم لبراهين دامغة على قدرته ﷻ على البعث.

النشاط التقويمي:

. أقامت سورة النبأ الأدلة على قضية البعث، ماذا يطلق على هذا النوع من الأدلة؟ واذكر الأدلة الأخرى على إثبات هذه القضية.

[1] . الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص12.

. ماذا يفيد تكرار قوله ﷻ "كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون؟

. ما الفرق بين النبأ والخبر في القرآن الكريم؟

. على ما ذا تدل هذه النون في الأفعال الآتية مع بيان مغزاها: خلقناكم، جعلنا، بنَيْنا، أنزلنا..؟

* * *

المحاضرة الرابعة:

أولا: تفسير المقطع الثالث من الآية: [17– 20].

من أهوال يوم الفصل.

النص القرآني:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَابٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ ﴾

القراءات القرآنية:

﴿وَفتحت السَّمَاء﴾ قَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر {وَفتِّحت السَّمَاء} مُشَدّدَة، وَقَرَأَ عَاصِم وَحَمْزَة والكسائي {وَفتحت السَّمَاء} خَفِيفَة [1].

الإعراب:

«إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ» إن واسمها المضاف إلى الفصل.

«كانَ مِيقاتاً» فعل ماض ناقص اسمه مستتر، و«مِيقاتاً» خبره والجملة خبر إن وجملة إن.. مستأنفة لا محل لها.

«يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ»: «يوم» بدل من يوم الفصل، «ينفخ» مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر، «في الصور» متعلقان بالفعل والجملة في محل جر بالإضافة.

«فَتَأْتُونَ أَفْواجاً»: «فتأتون» مضارع مرفوع والواو فاعله، و«أفواجا» حال والجملة معطوفة على ما قبلها.

«وَفُتِحَتِ السَّماءُ»: ماض مبني للمجهول، و«السماء» نائب فاعل والجملة معطوفة على ما قبلها.

«فَكانَتْ أَبْواباً»: كان اسمها مستتر، و«أبوابا» خبرها والجملة معطوفة على ما قبلها.

---

[1] - ابن مجاهد، السبعة في القراءات، مصدر سابق، ص668.

«وسُيِّرتِ الجبال فكانت سَرَابًا»: هذه الآية معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها [1].

البلاغة:

﴿فَكانَتْ أَبْواباً﴾ تشبيه بليغ، أي كالأبواب في التشقق والتصدع، فحذفت الأداة ووجه الشبه [2].

التشبيه البليغ: في قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً﴾. حيث شبَّه الجبال بالسَّراب، وحذف الأداة ووجه الشبه، والجامع أنَّ كلاً من الجبال والسراب يُرى على شكل شيء وليس هو بذلك الشيء [3].

مناسبة هذا المقطع لما قبله: هذه الآيات بيان لما أجمله قوله: عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون [النبأ: 2- 3] وهو المقصود من سياق الفاتحة التي افتتحت بها السورة وهيأت للانتقال مناسبة ذكر الإخراج من قوله: لنخرج به حبا ونباتا..[النبأ: 15]، لأنَّ ذلك شُبِّه بإخراج أجساد الناس للبعث.. وأكد الكلام بحرف التأكيد لأن فيه إبطالا لإنكار المشركين وتكذيبهم بيوم الفصل[4].

التحليل اللغوي للمفردات:

﴿**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ**﴾: الفصلُ هو الفرق والتّمييز بين الأشياء، ويوم الفصل: هو يوم القيامة، وسمِّي بذلك لأن اللّه يفصل فيه بحكمه بين الخلائق.

﴿**كَانَ مِيقَاتًا**﴾: أي: وقتا محدّدا تنتهي عنده الدنيا، وهو موعد محدّد في علم الله.

﴿**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ**﴾: يَوْمَ: بدل من يوم الفصل، والصُّور في الأصل: البوق الذي ينفخ فيه فيحدث صوتا، وقد جرت عادة الناس إذا سمعوه أن يهرعوا إليه ويجتمعوا عند النافخ، والنّفخ فيه هو كناية عن دعوة النّاس وبعثهم من قبورهم إلى المحشر، أما كيفية ذلك فعلمها عند الله. والمراد النفخة الثّانية للبعث.

﴿**فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا**﴾: الأفواج: جمع: "فوج" وهو الجماعة من النّاس، فتأتي الخلائق من قبورهم إلى موضع العرض زمرا زمرا، وجماعات جماعات.

---

[1] . ينظر: الدعاس أحمد عبيد، وآخران، إعراب القرآن، دار المنير ودار الفارابي، دمشق، 1425هـ، ج3، ص ص: 414 – 415.

[2] . الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص15.

[3] - صافي محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن الكريم، مرجع سابق، ج30، ص218.

[4] . ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30، ص29.

﴿**وَفُتِّحَتِ السَّمَآءُ فَكَانَتَ اَبْوَابًا**﴾: أي انشقت السماء وتصدَّعت، وفتحُها انشقاقها أبوابا تنزل منها الملائكة كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿**وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا**﴾: أي تزال الجبال من أماكنها وتتفتَّتُ صخورها، وتقتلع من أماكنها وتصير هباء، والسّراب: هو ما يلوح كالماء في الصّحاري وليس بماء، فتكون الجبال غبارا متراكما [1].

التفسير والبيان:

يقول تعالى مخبرًا عن يوم الفصل، وهو يوم القيامة، أنه مؤقت بأجل معدود، لا يزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله ﷻ، كما قال: {وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ} [هود:104] [2].

وقد أَكَّد الله حتمية وقوع هذا اليوم بقوله: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ} وهو الفصل بين الخَلق، والحق والباطل. وهذا اليوم في علم الله أو في اللوح محقَّق وقوعه ولذلك عبَّر عنه بالماضي. و{مِيقَاتاً} محدوداً بوقت لا يتقدم عنه باستعجالكم كما لا يتأَخر مطلقاً، ولا لحبكم تأْخيرُه إذا جاء، وقيل حداً تنتهي إليه الدنيا أو حداً للخلائق تتميز به أحوالهم، وصحَّح بعض أنَّ الدنيا انتهت بنفخة الموت، وقيل: انتهت بنفخة البعث [3].

ويقول الشوكاني: إن يوم الفصل كان ميقاتا أي: وقتا ومجمعا وميعادا للأولين والآخرين يصلون فيه إلى ما وعدوا به من الثواب والعقاب، وسمي يوم الفصل لأن الله يفصل فيه بين خلقه، وهذا شروع في بيان ما يتساءلون عنه من البعث، وقيل: معنى ميقاتا أنه حد توقت به الدنيا وتنتهي عنده، وقيل: حد للخلائق ينتهون إليه، يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا أي: يوم ينفخ في الصور، وهو القَرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ﷺ، والمراد هنا النفخة الثانية التي تكون للبعث فتأتون أي: إلى موضع العرض أفواجا أي: زمرا زمرا، وجماعات جماعات، وهي جمع فوج، وانتصاب يوم ينفخ على أنه بدل من يوم الفصل، أو بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله، وإن كان الفصل متأخرا عن النفخ، ويجوز أن يكون منصوبا بإضمار أعني، وانتصابُ أفواجا على الحال من فاعل «تأتون»، والفاء في «فتأتون» فصيحة تدل على محذوف، أي: فتأتون إلى موضع العَرْض عقيب ذلك أفواجا، وفتحت

---

[1] . المراغي أحمد مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ج30، ص10.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، حققه: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط2، 1999م، ج8، ص305.

[3] . ينظر: اطفيش امحمّد بن يوسف، تيسير التفسير، تحقيق: إبراهيم بن محمد طلاي، المطبعة العربية، غرداية، 2003م، ج16، ص15.

السماء فكانت أبوابا: معطوف على «ينفخ»، وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع أي: فتحت لنزول الملائكة فكانت أبوابا كما في قوله: ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا [الفرقان:25]، وقيل: معنى فتحت قطعت فصارت قطعا كالأبواب، وقيل: أبوابها: طرقها، وقيل: تنحلُّ وتتناثر حتى تصير فيها أبواب، وظاهر قوله: فكانت أبوابا أنها صارت كلها أبوابا، وليس المراد ذلك، بل المراد أنها صارت ذات أبواب كثيرة، وسيرت الجبال فكانت سرابا أي: سيرت عن أماكنها في الهواء، وقلعت عن مقارِّها، فكانت هباء منبثا يظن الناظر أنها سراب، والمعنى: أن الجبال صارت بلا شيء كما أن السراب يظن الناظر أنه ماء، وليس بماء، وقيل: معنى سيرت: أنها نسفت من أصولها، ومثل هذا قوله: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب [النمل: 88]، وقد ذكر سبحانه أحوال الجبال بوجوه مختلفة، ولكن الجمع بينها أن نقول: أول أحوالها الاندكاك، وهو قوله: وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة [الحاقة: 14]، وثاني أحوالها أن تصير كالعهن المنفوش كما في قوله: وتكون الجبال كالعهن المنفوش [القارعة:5]، وثالث أحوالها أن تصير كالهباء، وهو قوله: وبست الجبال بسًّا فكانت هباء منبثا [الواقعة: 6.5]، ورابع أحوالها: أن تنسف وتحملها الرياح كما في قوله: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وخامس أحوالها أن تصير سرابا، أي: لا شيء كما في هذه الآية[1].

ثانيا: تفسير المقطع الرابع: [21– 30]

جزاء المكذبين بيوم الدِّين

النص القرآني:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

القراءات القرآنية:

﴿لابثين فِيهَا أحقابا﴾: قَرَأَ حَمْزَة: لَبثين فِيهَا أحقابا، بِغَيْر ألف. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {لابثين} بِأَلف[2].

---

[1] . الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير، ط1، دار ابن كثير، 1414هـ، ج5، ص441.

[2] - ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، بيروت، د.ت، ص745.

﴿إِلَّا حميما وغساقا﴾: قَرَأَ حَفْص عَن عَاصِم والمفضل عَن عَاصِم {وغسَّاقا} مُشَدّدَة، وَقَرَأَ حَمْزَة والكسائي {وغساقا} مشددا، وروى أَبُو بكر عَنهُ {وغساقا} خَفِيفَة [1].

الإعراب:

جملة: «إنّ جهنّم كانت» لا محلّ لها استئنافيّة، وجملة: «كانت مرصادا» في محلّ رفع خبر إنّ.

«لِلطَّاغِينَ» متعلقان بمرصادا و«مَآباً» خبر ثان لكانت و«لابِثِينَ» حال و«فِيها» متعلقان بما قبلهما و«أَحْقاباً» ظرف زمان.

وجملة: «لا يذوقون» في محلّ نصب حال من ضمير لابثين.

و«يَذُوقُونَ» مضارع وفاعله و«فِيها» متعلقان بالفعل و«بَرْداً» مفعول به «وَلا شَراباً» معطوف على ما قبله والجملة مستأنفة لا محل لها و«إِلَّا» حرف حصر و«حَمِيماً» بدل من شرابا و«غَسَّاقاً» معطوف على حميما و «جَزاءً» مفعول مطلق و «وِفاقاً» صفة.

«كذّبوا بآياتنا كذّابا» كذّابا: مفعول مطلق منصوب.

«وكل شيء أحصيناه كتابا» كلّ: مفعول به لفعل محذوف على الاشتغال أي: أحصينا كلّ، كتابا: مفعول مطلق نائب عن المصدر.

وجملة: «إنّهم كانوا... » لا محلّ لها تعليليّة، وجملة: «كانوا... » في محلّ رفع خبر إنّ، وجملة: «لا يرجون... » في محلّ نصب خبر كانوا.

وجملة: «ذوقوا... » في محلّ جزم جواب شرط مقدّر أي إن كذّبتم في الدنيا فذوقوا العذاب في الآخرة.. وجملة الشرط المقدّرة مقول القول لقول مقدّر...

وجملة: «لن نزيدكم... » لا محلّ لها تعليليّة [2].

مناسبة هذا المقطع لما قبله:

بعد إثبات قدرة الله تعالى على تخريب الدنيا، وإيجاد عالم آخر، بإثبات إمكان الحشر وعموم القدرة والعلم، وإخباره تعالى عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معلوم لا يزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يَعلم وقته على التعيين إلا الله ﷻ، ثم ذكر علامات ذلك اليوم من نفخ

---

[1] - ابن مجاهد، السبعة في القراءات، مصدر سابق، ص 668.

[2] . ينظر: صافي، الجدول في إعراب القرآن، مرجع سابق، ج30، ص219؛ وينظر: الدعاس أحمد وآخران، إعراب القرآن الكريم، مرجع سابق، ج3، ص415.

الصور، وتصدع السماء، وتسيير الجبال عن أماكنها وصيرورتها هباء كالهواء، ثم أعقب بعد ذلك الحديث عن مآل الطاغين المكذبين بآيات الله، وهي جهنَّم تترصدهم ويلبثون فيها أحقابا مديدة.

التحليل اللغوي للمفردات:

﴿**مِرْصَادًا**﴾: مكانا معدًّا لرصدهم، فهو موضع الرّصد والمراقبة للكفار من طرف خزنة جهنم.

﴿**لِّلطَّاغِينَ مَئَابًا**﴾: لِلطَّاغِينَ: المتجاوزين الحدود في العصيان. مَآباً: مرجعا. أي: تكون جهنم مرجعا للطغاة ومثوى لهم.

﴿**لاَّبِثِينَ**﴾: مقيمين فيها، ويطلق اللبث على طول المكث والإقامة.

﴿**أَحْقَابًا**﴾: جمع: حقبة أو "حُقُب" بضمتين أي: الزمن الطّويل الذي لا نهاية له.

﴿**حَمِيمًا**﴾: الحميم: هو الماء الشّديد الحرارة، والمتناهي في الغليان.

﴿**وَغَسَاقًا**﴾: الغساق هو: القيح والصديد الدائم السيلان من أجساد أهل النار.

﴿**وِفَاقًا**﴾: أي: موافقا لعملهم [1].

التفسير والبيان:

إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً. أي: موضع رصد، يرصد فيه خزنتها من كان يكذِّب بها وبالمعاد. على أن مِرْصاداً اسم مكان. أو مجدّة في ترصدهم وارتقاب مقدَمِهم. على أنه صيغة مبالغة، لِلطَّاغِينَ أي: للذين طغوا في الدنيا، فتجاوزوا حدود الله استكبارا على ربهم، ومَآباً أي: منزلا ومرجعا يصيرون إليه، لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً أي: دهورا متتابعة إلى غير نهاية. كقوله: خالِدِينَ فِيها أَبَداً [الأحزاب: 65]، لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً، أي: روحا وراحة. وَلا شَراباً إِلَّا حَمِيماً، أي: ماء حارّا انتهى غليانه، وَغَسَّاقاً أي: صديدا. وهو ما يخرج من جلودهم مما تصهرهم النار، في حياض يجتمع فيها، فيسقونه جَزاءً وِفاقاً أي: جُوزُوا بذلك جزاء موافقا لما ارتكبوه من الأعمال، وقدموه من العقائد والأخلاق [2].

---

[1] . ينظر: محمود الحجازي، التفسير الواضح، ط10، دار الجيل الجديد، بيروت، 1413هـ، ج3، ص811.

[2] . القاسمي محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج9، ص391.

وسبب استحقاقهم لهذا العذاب هو: (إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً) أي: لا يخافون محاسبة الله إياهم أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابا [1]، «وَكَذَّبُوا بِآياتِنا كِذَّاباً» أي: كذبوا بآيات الله التي تحدثهم عن البعث والجزاء والحساب، فلم يعملوا لهذا اليوم حسابا.

والكذَّاب: وصف للكذب، ومبالغة فى صفته، كما أن كذاب (بالفتح) مبالغة لمن اتصف به.. أي أنهم كذبوا بآيات الله تكذيبا منكرا شنيعا، لما صحب تكذيبهم من سفاهة وتطاول على رسول الله..

وفي التعبير عن تكذيبهم بالحساب، بقوله تعالى: «لا يرجون»، مع أن الرجاء عادة إنما يكون لتوقع الخير- في هذا إشارة إلى أن يوم القيامة، من شأنه أن يكون أملا مرجوّا عند الناس، ففيه الحياة الحق، والخلود الدائم، والنعيم الكامل، وأن مقام الإنسان في الحياة الدنيا هو مقام قلق، وإزعاج، لا ينبغي للعاقل أن يقيم وجوده عليه، بل ينبغي أن يسعى إلى التحول عنه، والنظر إلى ما وراءه، والرجاء في حياة أكرم، وأفضل، وأبقى [2].

(وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً) أي: إنا علمنا جميع ما عملوا علما ثابتا لا يعتريه تغيير ولا تحريف، فلا يمكنهم أن يجحدوا شيئا مما كانوا يصنعون في الحياة الدنيا حين يرون ما أعد لهم من أنواع العقوبات، لأنا قد أحصينا ما فعلوه إحصاء لا يزول منه شيء ولا يغيب، وإن غاب عن أذهانهم ونسوه كما قال: «أَحْصاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ»، وإنما قيل (كِتاباً) دون أن يقال (إحصاء) لأن الكتابة هي النهاية في قوة العلم بالشيء، فإن من يريد أن يحصى كلام متكلم حتى لا يغيب منه شيء عمد إلى كتابته، فكأنه تعالى يقول: «وكل شيء أحصيناه إحصاء يساوي في ثباته وضبطه ما يكتب».

وبعد أن بيَّن قبائح أفعالهم لكفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات؛ رتَّب عليه هذا الجزاء فقال: (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً) أي: فذوقوا ما أنتم فيه من العذاب الأليم، فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه كما قال: «وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْواجٌ».

---

[1] . النسفي عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1998م، ج3، ص 592.

[2] - الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج16، ص1422.

روى قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية: «فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً»، ذاك أن فيها تقريعا وتوبيخا لهم في يوم الفصل، وغضبا من أرحم الراحمين، وتيئيسا لهم من الغفران [1].

ما ترشد إليه الآيات الكريمة:

. حدَّدت السورة ميقات البعث وميعاده، وهو يوم الفصل بين الخلائق الذي يجمع الله فيه الأولون والآخرون.

. ذكرت السورة كيفية بدء البعث وذلك بالنَّفخ في الصور، وحشر الناس أفواجا وجماعات.

. قدَّمت السورة مشاهد رهيبة عن إفناء الكون كتصيير الجبال سرابا، وتحويل السماء أبوابا.

. تضمَّنت هذه الآيات التهديد والإنذار لمن يكذِّب بالبعث والدِّين.

. تحدَّثت السورة عمَّا أعده الله للطُّغاة من عذاب ونكال.

. حكمت السورة على الكفار والمشركين بالخلود في النار وعدم غيابهم عنها.

. بيَّنت السورة أنَّ أهم الأسباب التي تخلِّد صاحبها في النَّار إنكار البعث، والتكذيب بالآيات.

. عَرَضت السورة بعضا من ألوان عذاب أهل النار . والعياذ بالله . كالحميم والغساق.

. أخبرت السورة أن عذاب أهل النار يتميَّز بالخلود ومضاعفته.

. أبانت السورة أن الله ﷻ لا يظلم أحدا فكلٌّ يُجازى على وِفق عمله.

نشاط تقويمي:

. لماذا تعددَّت أسماء يوم القيامة في القرآن الكريم؟ اذكر خمسة أسماء منها مع بيان دلالتها.

. ما الفرق بين اللّبث والخلود؟ وما هي الصفات التي توجب صاحبها الخلود في النار من خلال السورة الكريمة.

. لماذا الأفعال المتحدثة عن يوم القيامة في السورة الكريمة جاءت بصيغة الماضي؟ (فتِّحت، سيِّرت).

* * *

[1] . المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج30، ص ص:14 . 15.

المحاضرة السادسة:

أولا: تفسير المقطع الخامس: [31– 36]

نعيم أهل الجنة.

النصُّ القرآني:

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾

القراءات القرآنية:

﴿لَا يسمعُونَ فِيهَا لَغوا وَلَا كذابا﴾ قَرَأَ الكسائي وَحده {وَلَا كذَابا} بِفَتْح الذَّال خَفِيفَة، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {كذَّابا} مُشَدّدَة [1].

الإعراب:

(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً) كلام مستأنف مسوق لبيان أحوال أهل الجنة وللمتقين خبر إن المقدم ومفازا اسم إن المؤخر والمفاز مصدر ميمي أو اسم مكان لموضع الفوز.

(حَدائِقَ وَأَعْناباً وَكَواعِبَ أَتْراباً وَكَأْساً دِهاقاً) حدائق جمع حديقة وهي بدل بعض من كل من مفازا، وأعنابا وما بعده عطف على حدائق.

(لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا كِذَّاباً) الجملة حالٌ من المتقين، ولا نافية، ويسمعون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، وفيها متعلقان بيسمعون، ولغوا مفعول به، ولا كذابا عطف على لغوا.

(جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً) جزاء مفعول مطلق لفعل محذوف أي: جزاهم الله بذلك جزاءً، ومن ربك نعت لجزاء، وعطاءً بدل من جزاء وفي هذا البدل سر لطيف وهو الإلماع إلى أن ذلك تفضّل وعطاء، وجزاء مبني على الاستحقاق [2].

مناسبة هذا المقطع لما قبله:

بعد أن ذكر الله تعالى وعيد الكفار وما يلاقونه من ألوان العذاب في جهنم، أتبعه بذكر وعده لأهل الجنة وما يتمتَّعون به من نعيم.

---

[1] - أبو بكر ابن مجاهد، السبعة في القراءات، مصدر سابق، ص 668.

[2] . محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، ط4، 1415هـ، ج10، ص358.

المفردات اللغوية:

﴿**مَفَازًا**﴾: يحتمل أن يكون مصدرا بمعنى فوزا وظفرا بالبغية، ويحتمل أن يكون موضعَ فوز.

﴿**حَدَآئِقَ**﴾: والحدائق جمع حديقة، وهي بستان محوط عليه. من قولهم: أحدقوا به أي أحاطوا به.

﴿**وَكَوَاعِبَ**﴾: كواعب جمع كاعب وهي النواهد التي تكعَّبت ثديهن وتفلَّكت أي يكون الثدي في النتوء كالكعب والفلكة.

﴿**أَتْرَابًا**﴾ والأتراب: جمع: "ترب" يعني متساويات في السن فلا تفْضل إحداهن على الأخرى بصغر ولا كبر.

﴿**وَكَأْسًا**﴾: يقال للزجاجة فيها الخمر: كأس، وتسمى الخمر نفسها كأسا [1].

﴿**دِهَاقًا**﴾: ودهاقا أي: ممتلئة، وتأتي بمعنى متتابعة، وتضمُّ معنى صافية [2].

﴿**لَغْوًا وَلاَ كِذَّابًا**﴾: لَغْوًا: الباطل من الكلام وغيره، والكِذاب مصدر فعل: "كذب".

﴿**جزَاءً**﴾: الجزاء: إعطاء شيء عوضا على عمل مّا [3].

التفسير والبيان:

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً شروعٌ في بيانِ محاسنِ أحوالِ المؤمنين إثرَ بيانِ سوءِ أحوالِ الكفرةِ أي: إنَّ للذينَ يتقونَ الكفرَ وسائرَ قبائحِ أعمالِ الكفرةِ فوزاً وظفراً بمباغيهم أو موضعَ فوزٍ وقيلَ نجاةً ممَّا فيه أولئكَ أو موضعَ نجاةٍ. وقد أعدَّ الله لهم حَدَائِقَ وأعنابا أيْ: بساتينَ فيها أنواعٌ الأشجارِ المثمرةِ وكروماً بدلٌ منْ مفازاً، كما يمتعهم الله بالكَوَاعِب وهنَّ النساء النَّواهدُ المتساويات في الأعمار، وعلاوة على ذلك فإنه يطاف عليهم بكؤوس ملآى بالخمر الذي لا يصدِّع الرأس ولا يغيِّب العقل فلا ينطقون بلغو ولا يُكذِّب بعضهم بعضا، جَزَاء مّن رَّبّكَ مصدرٌ مؤكدٌ منصوبٌ بمعنى أنَّ للمتقينَ مفازاً فإنَّه في قوَّةِ أنْ يقالَ جازَى المتقينَ بمفازٍ جزاءً كائناً من ربِّك، والتعرّضُ لعنوانِ الربوبيةِ المُنْبئة عن التبليغِ إلى

---

[1] - الزمخشري محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ج4، ص42.

[2] - الرازي محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج31، ص21.

[3] - سعيد كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، مصدر سابق، ج14، ص278.

الكمالِ شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره ﷺ مزيدُ تشريف له ﷺ، عطاء أي: تفضيلا وإحساناً منه تعالَى إذْ لا يجبُ عليهِ شيءٌ وهو بدلٌ من جزاءً، حسابًا صفةٌ لعطاء بمعنى كافياً [1].

يقول سيد قطب: "فإذا كانت جهنم هناك مرصدا ومآبا للطاغين، لا يفلتون منها ولا يتجاوزونها، فإن المتقين ينتهون إلى مفازة ومنجاة، تتمثل «حَدائِقَ وَأَعْناباً» ويخص الأعناب بالذكر والتعيين لأنها مما يعرفه المخاطبون.. «وَكَواعِبَ» وهن الفتيات الناهدات اللواتي استدارت ثديهن «أَتْراباً» متوافيات السن والجمال. «وَكَأْساً دِهاقاً» مترعة بالشراب.

وهي مناعم ظاهرها حسي، لتقريبها للتصور البشري. أما حقيقة مذاقها والمتاع بها فلا يدركها أهل الأرض وهم مقيدون بمدارك الأرض وتصوراتها.. وإلى جوارها حالة يتذوقها الضمير ويدركها الشعور: «لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا كِذَّاباً».. فهي حياة مصونة من اللغو ومن التكذيب الذي يصاحبه الجدل فالحقيقة مكشوفة لا مجال فيها لجدل ولا تكذيب كما أنه لا مجال للَّغو الذي لا خير فيه، وهي حالة من الرِّفعة والمُتعة تليق بدار الخلود..

«جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً».. ونلمح هنا ظاهرة الأناقة في التعبير والموسيقى في التقسيم بين «جَزاءً» و «عَطاءً»، كما نلمحها في الإيقاع المشدود في الفواصل كلها على وجه التقريب، وهي الظاهرة الواضحة في الجزء كله إجمالا"[2].

ثانيا: تفسير المقطع السادس: [37 . 40]

من مشاهد يوم القيامة

النص القرآني:

قَالَ تَعَالَى:﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾

القراءات القرآنية:

---

[1] - ينظر: أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج9، ص ص89- 92.

[2] . سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج6، ص3808.

﴿رب السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا الرَّحْمَن لَا يملكُونَ مِنْهُ خطابا﴾: قَرَأَ نَافِع وَابْن كثير وَأَبُو عَمْرو {ربُّ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا الرَّحْمَن} بِالرَّفْع فيهمَا على الِاسْتِئْنَاف و {الرَّحْمَن} خَبره، وَقَرَأَ ابْن عَامر وَعَاصِم بِالْجَرِّ فيهمَا عطف على قَوْله جَزَاء من رَبك ربِّ السَّمَوَات، وَقَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ {ربِّ السَّمَاوَات} بالخفض و {الرَّحْمَنُ} رفع قَوْله رب ترده على قَوْله من رَبك وترفع الرَّحْمَن على الِابْتِدَاء وَتجْعَل قَوْله {لَا يملكُونَ مِنْهُ} فِي مَوضِع خبر قَوْله {الرَّحْمَن} [1].

الإعراب:

«رَبِّ السَّماواتِ» بدل من ربك مضاف إلى السماوات «وَالْأَرْضِ» معطوف على السماوات «وَما» معطوف على السماوات و «بَيْنَهُمَا» ظرف مكان و «الرَّحْمنِ» بدل من رب و«لا» نافية و «يَمْلِكُونَ» مضارع مرفوع والواو فاعله و «مِنْهُ» متعلقان بالفعل و «خِطاباً» مفعول به والجملة مستأنفة.

«يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ» ظرف زمان ومضارع وفاعله «وَالْمَلائِكَةُ» معطوف على الروح والجملة في محل جر بالإضافة و «صَفًّا» حال و «لا» نافية «يَتَكَلَّمُونَ» مضارع مرفوع والواو فاعله والجملة حال و «إِلَّا» حرف حصر و «مَنْ» بدل من الواو في يتكلمون «أَذِنَ» ماض و «لَهُ» متعلقان بالفعل و «الرَّحْمنُ» فاعل والجملة صلة من «وَقالَ» ماض فاعله مستتر و«صَواباً» صفة مفعول مطلق محذوف والجملة معطوفة على ما قبلها.

«ذلِكَ» مبتدأ و «الْيَوْمُ» خبره و «الْحَقُّ» صفة اليوم والجملة مستأنفة و «فَمَنْ» الفاء الفصيحة و «من» اسم شرط مبتدأ «شاءَ» ماض في محل جزم فعل الشرط و «اتَّخَذَ» ماض فاعله مستتر و «إِلى رَبِّهِ» متعلقان بالمفعول به «مَآباً» والجملة جواب الشرط لا محل لها وجملتا الشرط والجواب خبر المبتدأ من [2].

يَوْمَ يَقُومُ: يوم ظرف لقوله: لا يَمْلِكُونَ. صَفًّا حال، أي: مصطفين، إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ: مَنْ في موضع رفع على البدل من واو يَتَكَلَّمُونَ ويجوز أن يكون في موضع نصب على الأصل في الاستثناء.

البلاغة: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا عطف عام على خاص لأن الروح هو جبريل عليه السلام، وهو من الملائكة، وأفرد بالذكر تنويها بقدره [3].

---

[1] ـ ابن زنجلة، حجة القراءات، مصدر سابق، ص745.
[2] ـ الدعاس، إعراب القرآن الكريم، مرجع سابق، ج3، ص416.
[3] ـ الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص25.

مناسبتها لما قبلها: بعد أن وصف اللّه تعالى وعيد الكفار ووعد المتقين، ختم الكلام بالإخبار عن عظمته وجلاله وشمول رحمته وعلى التخصيص يوم القيامة، وأردفه ببيان أن هذا اليوم حق لا ريب فيه، وأن الناس فيه فريقان: فريق بعيد من اللّه، ومصيره إلى النار، وفريق قريب من اللّه، وتكريمه وثوابه، ومرجعه إلى الجنة، ثم عاد إلى تهديد الكفار المعاندين وتحذيرهم من عاقبة عنادهم وكفرهم [1].

التحليل اللغوي للمفردات:

﴿**الرُّوحُ**﴾: قيل هو جبريل، وقيل: ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا، وقيل: يعني أرواح بني آدم فهو اسم جنس.

﴿**لا يَتَكَلَّمُون**﴾: الضمير للملائكة والروح، أي تمنعهم الهيبة من الكلام إلا من بعد أن يأذن الله لهم [2].

﴿**الْيَوْمُ الْحَقُّ**﴾ الثابت وقوعه وهو يوم القيامة.

﴿**مَئَابًا**﴾: مرجعا أي رجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه.

﴿**عَذَابًا قَرِيبًا**﴾: عذاب يوم القيامة الآتي وكل آتٍ قريب.

﴿**مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**﴾: أي يقرأ المرء في صحائفه ممن قدّمه في حياته من خير أو شرّ.

﴿**وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾: يتمنى الكافر أن يصير إلى العدم حتى لا يعذّب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض كوني ترابا [3].

التفسير والبيان:

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، فالرب: المالك، فذكر أنه مالك السماوات والأرض وما بينهما؛ ليعلموا أنه لم يمتحن أحدا بعبادته لحاجة تقع له، أو لمنفعة تصل إليه، بل هو الغني، وله ما في السماوات وما في الأرض، وأن منفعة ما امتُحِنوا به من العبادات راجعة إلى أنفسهم إذا وفُّوا بها، وإذا لم يقوموا بأدائها كان الضَّرر راجعا إليهم، ﴿الرَّحْمَنِ﴾ بيَّن أنَّه رحمن؛ ليرغبوا في رحمته، ويتسارعوا إلى مغفرته، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ هيْبَة من اللَّه تعالى، وتعظيما لحقِّه؛ فلا يملكون من هيبته الخطاب بالشفاعة أو بالخصومة أو بأيِّ شيء كان.

---

[1] . الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص25.

[2] - ابن جزي محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، حققه: عبد الله الخالدي، دار ابن الأرقم، بيروت، 1416هـ، ج2، ص446.

[3] - ينظر: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ص 789.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ اختلف في الروح: فمنهم من قال: هو جبريل عليه السلام، ومنهم من صرفه إلى أرواح المسلمين، ومنهم من ذكر أنهم الحفظة على الملائكة يرون الملائكة ولا تراهم الملائكة، وجائز أن يكون الروح الكتب المنزلة من السماء، كما قال: (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ)؛ فتكون الكتب مخاصمة مع من ضيَّع حقها ونبذها وراء ظهره، وشافعة لمن أدَّى حقها، وعمل بما فيها، ومنهم من ذكر أن هذا من المكتوم الذي لا يفسَّر؛ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، جائز أن يكون هذا منصرفا إلى الشافع؛ أي: الشافع لا يقول فيما يشفع غير الصواب، وما حلَّ به من الرهبة والخوف من هيبة اللَّه تعالى لا يزيله عن التكلم بالحق؛ بل اللَّه تعالى يثبته على الحق، ويُجري على لسانه الصواب، وقَالَ بَعْضُهُمْ: معناه: لا يشفع إلا من قال في الدنيا صوابا، وهو الحق، وقيل: معناه: أنه لا ينال من الشفاعة حظا إلا من قال في الدنيا الصَّواب، والصَّواب أن يكون مقيما فيما دَانَ به من التوحيد.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ قيل: معناه: ألا يقال في ذلك اليوم غير الحق، وجائز أن يكون منصرفا إلى اليوم نفسه؛ فيكون معناه: أن كونه حقا يكون لا محالة.

﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾، أي: مرجعا؛ تأويله: أن اللَّه تعالى بيَّن للخلق سبيل الضلال والهدى، ولم يصدّ أحدا عن سبيل الضلال والهدى، وبيَّن أنَّ من سلك سبيل الضلال فمآبه إلى النار، ومن سلك سبيل الرشد والهدى، فمآبه إلى الجنة، وذلك مآبه إلى اللَّه تعالى، واتِّخاذ السبيل إليه تعالى.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: العذاب الذي أوعدهم به قريب مأتاه، وإن استبعدتموه في أوهامكم؛ قال اللَّه تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ).

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، فجائز أن يكون هذا منصرفا إلى الخلائق أجمع مؤمنهم وكافرهم، ثم تخصيص الأيدي بالذكر هو أن التقديم والتأخير في الشاهد يقع بالأيدي؛ فأضيف إليها، وإن احتمل ألا يكون للأيدي صنع فيما ارتكب من الآثام، أو فيما فعل من الخيرات، وهو كالمطر يسمى: رحمة اللَّه، وإن لم يكن ذلك من أوصافه؛ لأنه برحمة اللَّه ما ينزل من السماء، وسمي الكلام: لسانا وإن لم يكن هو لسانا؛ لأنه باللسان ما يتكلم؛ فكذلك التقديم أضيف إلى الأيدي؛ لما بها يقع التقديم في الشاهد وإن لم يكن للأيدي صنع.

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، ذكر هذا التمني في الكافر دون المؤمن؛ لأن المؤمن يرى حسناته متقبلة وسيئاته مغفورة؛ فيأمن من عقاب اللَّه تعالى، والكافر يرى نفسه مؤاخذة بالسيئات، ولا يرى لها حسنات متقبلة؛ فيتمنى أن يكون ترابا؛ ليتخلص عن عذاب اللَّه [1].

ما ترشد إليه الآيات الكريمة:

. بينت الآيات أنَّ الناس يوم القيامة هم على فريقين: فريق المتقين المقربين من ثواب الله وكرامته ورضاه، وفريق الكافرين الجاحدين البعيدين عن رحمة الله، الواقعين في صنوف العذاب.

. دلَّت الآيات على عظمة الموقف يوم القيامة فلا يتكلم أحد ولو كان ملكا مقربا إلا بإذن من الله تعالى.

. أكَّدت الآيات على أنَّ يوم القيامة لا ريب فيه، والفائز في ذلك اليوم من أناب إلى الله في الدنيا.

. أنذرت الآياتُ النَّاسَ بقرب وقوع القيامة، وفيها يُعايِن الإنسان ما عمله في دنياه إن خيرا فخيرا، وإن شرا فعليه شره.

. العاقل من يغتنم فرصة وجوده في هذه الحياة ليعمل الخير، ويتوب إلى الله من جميع الذنوب والمعاصي حتى يفوز بالجنة وينجو من عذاب الجحيم.

. يود الكافر يوم القيامة لما يتحقَّق من وقوع العذاب عليه أن لو كان ترابا؛ فلا ينفعه حينها ندمٌ ولا تحسُّرٌ.

النشاط التقويمي:

. ارجع إلى تفسير الفخر الرازي ولخِّص ما كتبه عن المسائل المتعلقة بالجزاء والعطاء المذكورة في قوله تعالى: جزاء من ربك عطاء حسابا.

. اعقد مقارنة بين أهل التقوى وبين أهل الكفر من حيث صفاتهم، ومآلهم.

. يتميز أسلوب السورة بقصر آياتها وجزالة ألفاظها وتأثير كلماتها، بيِّن ذلك.

* * *

[1]. ينظر: الماتريدي محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ج10، ص ص397 -400.

المحاضرة السابعة:

أولا: بين يدي سورة عبس.

التعريف بالسورة:

سورة عبس مكية، وهي من المفصَّل، وقعت في الجزء الثلاثين، بدأت بفعل ماض عَبَسَ وَتَوَلَّى، ولم يُذكر فيها لفظ الجلالة، وترتيبها في المصحف80 ، وعدَّت الرابعة والعشرين في ترتيب نزول السور. نزلت بعد سورة (والنجم) وقبل سورة (القدر).

وعدد آيها عند العادِّين من أهل المدينة وأهل مكة والكوفة اثنتان وأربعون، وعند أهل البصرة إحدى وأربعون وعند أهل الشام أربعون، وهي أولى السور من أواسط المفصَّل [1].

تسميتها:

سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة بـ «سورة عبس»؛ لأنَّ الله تعالى ابتدأها بكلمة عبس، وهذا التعليل في تسمية السور واحد عند كثير من سور الكتاب، قال تعالى في مطلع سورة عبس: {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ}[١].

ولكنَّ هذه السورة وردتْ بأسماء أخرى في كتب العلماء، فجاءت باسم سورة ابنِ أم مكتوم في كتاب أحكام القرآن لابن العربي المالكي، وسمَّاها الخفاجي بسورة الصَّاخَّة، وسمَّاها العيني في شرح صحيح البخاري بسورة السَّفَرَة، وسُمِّيت سورة الأعمى، ولكنَّ الاسم المشهور لها هو سورة عبس[2].

وسميت بسورة (عبس) لافتتاحها بهذا الوصف البشري المعتاد الذي تقتضيه الجبلّة الإنسانية، ويغلب على الإنسان حينما يكون مشغولا بأمر مهم، ثم يطرأ عليه أمر آخر فيصرفُه عن الأمر السابق، ومع ذلك عوتب النَّبي ﷺ على عبوسه تساميا لقدره، وارتفاعا بمنزلته النبوية بالرغم من أنَّ ابن أمِّ مكتوم أعمى لم ير ﷺ العبوسَ على وجه النَّبي ﷺ.

سبب نزول السورة:

روى الترمذي بسنده عن عَائِشَةَ قَالَتْ: أُنْزِلَ: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ

---

[1] . ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30، ص101.

[2] . المصدر ذاته، ج30، ص101.

الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ، وَيَقُولُ: أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟ فَيَقُولُ: لاَ، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ [1].

وذكر الواحدي سبب نزول صدر سورة عبس "أَنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ أَتَى النبيَّ ﷺ وَهُوَ يُنَاجِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأَبَا جَهلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأُبَيًّا وَأُمَيَّةَ ابْنَيْ خَلَفٍ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَرْجُو إِسْلَامَهُمْ. فَقَامَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، وَجَعَلَ يُنَادِيهِ وَيُكَرِّرُ النِّدَاءَ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ مُشْتَغِلٌ مُقْبِلٌ عَلَى غَيْرِهِ، حَتَّى ظَهَرَتِ الْكَرَاهِيَةُ فِي وَجْهِ رسول اللَّه ﷺ لِقَطْعِهِ كَلَامَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: يَقُولُ هَؤُلَاءِ الصَّنَادِيدُ: إِنَّمَا أَتْبَاعُهُ الْعُمْيَانُ وَالسِّفْلَةُ وَالْعَبِيدُ فَعَبَسَ رسولُ اللَّه ﷺ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ يُكَلِّمُهُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ. فَكَانَ رسول اللَّه ﷺ – بَعْدَ ذَلِكَ– يُكْرِمُهُ، وإذا رآه قال: مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي" [2].

مناسبة السورة لما قبلها:

لهذه السورة تعلق بما قبلها وهي سورة النازعات لأن هذه الأخيرة ذكر فيها الله ﷻ أنَّ النبي ﷺ منذر من يخشى الساعة، وهنا ذكر من ينفعه الإنذار، وهم الذين كان رسول اللّه ﷺ يناجيهم في أمر الإسلام ويدعوهم إليه وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة ومع ذلك لم ينفعهم الإنذار، كما أن بينهما تشابها في موضوع الحديث عن يوم القيامة وأهوالها، وإثبات البعث بمخلوقات اللّه في الإنسان والكون، فهناك وصفت القيامة بقوله تعالى: ﴿فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى﴾ [النازعات:34]، وهنا وصفت بقوله سبحانه: ﴿ فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس:33] وهما من أسماء يوم القيامة. وهناك أثبت اللّه البعث بخلق السماء والأرض والجبال، وهنا أثبته بخلق الإنسان والنبات والطعام [3].

مناسبة السورة لما بعدها:

مناسبة سورة عبس لسورة التكوير ظاهرة بيِّنة حيث جاء في ختام سورة عبس قوله تعالى: ﴿فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [33– 42] ناسب ابتداء السورة التي بعدها بهذه الافتتاحية

---

[1] . الترمذي، سنن الترمذي، مصدر سابق، ج5، ص289، رقم الحديث: 3331.

[2] - الواحدي علي بن أحمد بن محمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، ص471.

[3] - ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص56.

المهولة: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، وهي تسرد الأحداث الرهيبة التي تلحق بنهاية الكون في ذلك اليوم الذي سمَّاه الله بالصاخة. فكان مجيء سورة التكوير تفسيرا لخاتمة سورة عبس.

موضوعات السورة الكريمة:

– افتتحت بذكر قصة الأعمى عبد الله بن أمّ مكتوم، عندما جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يعلّمه مما علمه الله، وكان الرّسول ﷺ مشغولا مع بعض كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام رجاء إتباع قومهم لهم، فعبس الرّسول ﷺ وأعرض عنه، فنزل ذلك العتاب.

– بيان جحود الإنسان وكفره مع توفير نعم الله عليه، قتل الإنسان ما أكفره.

– الاستدلال على قدرة الله بخلق الإنسان وتيسير سبل العيش له على وجه الأرض: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾.

– اختتمت السّورة بذكر أهوال يوم القيامة وموقف الإنسان منها بفراره من أحبائه لشدة الهول والفزع، وبيَّنت حال المؤمنين وحال الكافرين [1].

ثانيا: تفسير المقطع الأول من الآية: [1 .16]:
الإسلام دين المساواة والقرآن تذكرة للناس.

النصُّ القرآني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.

القراءات القرآنية:

من يقرأ بالإِمَالَةِ فإنَّه يميل رُءُوسِ آيِ " عَبَسَ " مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى قَوْلِهِ تعالى: ﴿تَلَهَّى﴾.

﴿إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ قَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبُ بِتَشْدِيدِ الزَّايِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهَا.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ﴾ قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بِتَنْوِينِ مُنْذِرُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ.

﴿فَتَنْفَعَهُ﴾ قَرَأَ عَاصِمٌ بِنَصْبِ الْعَيْنِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِرَفْعِهَا.

---

[1] - سعيد كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، مصدر سابق، ج14، ص297.

﴿لَهُ تَصَدَّى﴾ قَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ كَثِيرٍ بِتَشْدِيدِ الصَّادِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهَا [1].

الإعراب:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى﴾: أَنْ جاءَهُ: في موضع نصب لأنه مفعول لأجله، وتقديره: لأن جاءه، فحذف اللام فاتصل الفعل به. ومنهم من جعله في موضع جر، بإعمال حرف الجر مع الحذف، لكثرة حذفها معها، وهي وحرف الجر في موضع نصب بالفعل قبلها.

﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى﴾ فَتَنْفَعَهُ: بالنصب على جواب الترجي: (لعل) بالفاء بتقدير (أن). وبالرفع بالعطف على يَذَّكَّرُ.

﴿وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى﴾ يَسْعى: حال من فاعل: جاء. وَهُوَ يَخْشى حال من فاعل: يسعى، وهو الأعمى.

﴿فِي صُحُفٍ﴾ خبر ثان لـ "إِنَّها" وما قبله اعتراض، أو خبر لمبتدأ محذوف.

﴿قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ﴾ ما إما تعجبية، وإما استفهامية.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ السبيل منصوب بفعل يفسره الظاهر، للمبالغة في التيسير.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ﴾ لَمَّا حرف جزم، معناه النفي لما قرب من الحال. وما أَمَرَهُ تقديره: لما أمر به، فحذف الباء من «به» ثم حذف الهاء العائدة إلى «ما» فصار: لما أمره [2].

البلاغة:

عَبَسَ وَتَوَلَّى.. ثم قال: وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى التفات من الغيبة إلى الخطاب دلالة على مزيد الإنكار، وزيادة في العتاب، وتنبيها للرسول صلّى ﷺ إلى العناية بشأن الأعمى، كمن يشكو جانيا بطريق الغيبة، وهو حاضر، ثم يقبل على الجاني مواجها بالتوبيخ. وفي ذكر الأعمى إنكار أيضا لأن العمى يوجب العطف والرأفة عند ذوي الآداب غالبا، لا التولي والعبوس.

يَذَّكَّرُ والذِّكْرى جناس اشتقاق.

عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى سجع مرصع.

تَصَدَّى تَلَهَّى بينهما طباق [3].

---

[1]. ابن الجزري محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د.ت، ج2، ص298.

[2]. الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص59.

[3]- المصدر ذاته، ج30، ص59.

﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ، بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، كِرامٍ بَرَرَةٍ﴾ تناسق الفواصل وتوافقها وهو ما يسمى بالسجع المرصَّع.

ويقول اطفيش: قدَّم الحرف "له" في قوله تعالى: ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾، وقدَّم "عنه" في قوله تعالى: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ للفاصلة وللاهتمام؛ ولأنهما منشأ العتاب قيل وللحصر الإضافي أي: تصدَّى له لا لابن أُم مكتوم، وتلهَّى عنه لا عمن استغنى، وفيه أنه لا يأمره الله بالتلهي عمن استغنى لحضوره مع الشروع في تذكيره ولأمر الله تعالى بتذكيره فإن العتاب على الاهتمام بمن استغنى لا على قصده بالإرشاد، فإن الإرشاد غير ممنوع عن الكفار إنما هو على الاشتغال عمن جاء يسعى، وذكر التلهي دون عدم التَّصدي مع أنه هو المقابل للتصدي إشعاراً بأن العتاب ليس للاشتغال بالكفار [1].

السيرة:

كان النَّبي ﷺ إذا رأى ابن أمِّ مكتوم أكرمه وقال: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي هل لك من حاجة» وذلك في مكة، واستخلفه النبي ﷺ بعد الهجرة وصلَّى بالنَّاس ثلاث عشرة مرة، وهو من المهاجرين الأَولين هاجر قبل النبي ﷺ، ومات بالقادسية شهيدا يوم فتح المدائن أيام عمر رضي الله عنه ورآه أنس يومئذ وعليه درع وله راية سوداء، وقيل رجع إلى المدينة ومات بها، وذكره بالأَعمى زيادة في العتاب إذ من شأن من هو ضعيف أن يقبل عليه أيًّا كان ولا سيَّما أنَّه جاء يطلب دين الله ﷻ [2].

التحليل اللغوي للمفردات:

﴿**عَبَسَ وتَوَلَّى**﴾: عبس عبوسا إذا قطب بين جبينه غاضبا وأعرض [3].

﴿**وَمَا يُدْرِيكَ**﴾: أي شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى [4].

﴿**يَزَّكَّى**﴾: أي: يتزكّى، قلبت التّاء زايا ووقع الإدغام، أي: تحصل له زكاة وطهارة في نفسه [5].

﴿**اسْتَغْنَا**﴾: الاستغناء: عدّ الشّخص نفسه غنيا، فالسّين والتّاء للحسبان، ويصحب الاستغناء –غالبا– التّكبّر والغرور.

---

[1] - ينظر: اطفيش محمد، تيسير التفسير، مصدر سابق، ج16، ص59.

[2] - ينظر: المصدر ذاته، ج16، ص56.

[3] - سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط6، دار السلام، القاهرة، 1424هـ، ج11، ص 6373.

[4] - النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مصدر سابق، ج3، ص601.

[5] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج8، ص319.

﴿**تَصَدَّى**﴾: أصله تتصدّى، حذفت التّاء الثّانية للتخفيف أي وجهت عنايتك إليه وهو مستغني عنك.

﴿**وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى**﴾: أي لست مؤاخذا على عدم تزكيته.

﴿**وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَى**﴾: من السّعي، أي شدة المشي، وهو كناية على الحرص من اللّقاء.

﴿**تَلَهَّى**﴾: مِن تتلهى أي تتشاغل.

﴿**كَلاَّ**﴾: للرّدع وإبطال ما جرى في الكلام السّابق.

﴿**تَذْكِرَةٌ**﴾: موعظة يجب الاتعاظ بها.

﴿**فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ، مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ**﴾: الصحف: جمع صحيفة، قطعة من أَدَم أو روق يكتب فيها الكتاب. وقيل: المراد بها الأشياء التي كتب فيها القرآن. وقيل: هي الصّحف المنزلة على جميع الأنبياء فهي مقدسة مطهّرة مرفوعة القدر. والسّفرة هم الملائكة الأطهار المرسلون إلى الأنبياء [1].

التفسير والبيان:

يقول ابن كثير: ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم-وكان ممن أسلم قديما-فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه، وودَّ النبي ﷺ أن لو كفَّ ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعا ورغبة في هدايته. وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله عز وجل: (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى)؟ أي: يحصل له زكاة وطهارة في نفسه. (أو يذكر فتنفعه الذكرى) أي: يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم، (أما من استغنى * فأنت له تصدى) أي: أما الغني فأنت تتعرض له لعله يهتدي، (وما عليك ألا يزكى)؟ أي: ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة. (وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى) أي: يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له، (فأنت عنه تلهى) أي: تتشاغل. ومن هاهنا أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ألا يخص بالإنذار أحدا، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار. ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة [2].

---

[1] - سعيد كعباش، نفحات الرحمان في رياض القرآن، مصدر سابق، ج14، ص ص: 298 -299.

[2] . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، حققه: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، ج8، ص319.

(كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ) أي: ما الأمر كما تفعل أيها الرسول، بأن تعبس في وجه من جاءك يسعى وهو يخشى، وتقبل على من استغنى، بل الهداية المودعة في الكتب الإلهية وأجلّها القرآن، تذكير ووعظ وتنبيه لمن غفل عن آيات ربه.

وقد وصف سبحانه تلك التذكرة بأوصاف تدل على ما لها من عظيم الشأن فقال: (فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ) أي: إن هذه التذكرة بينة ظاهرة، فلو أن إنسانا أراد أن يتدبرها، ويتفهم معناها، ويتعظ بها، ويعمل بموجبها- لقدر على ذلك واستطاعه، ولا يمنعه عن الاهتداء بها إلا عدم المشيئة عنادا واستكبارا.

(فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرامٍ بَرَرَةٍ) أي: وقد أودعت هذه التذكرة في الكتب الإلهية ذات الشرف والرفعة، المطهرة من النقائص ولا تشوبها شوائب الضلالات، تنزّل بوساطة الملائكة على الأنبياء، وهم يبلغونها للناس.

وكل من الملك والنبي سفير، وكل منهما رسول، والملائكة كرام على الله كما قال: «بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ» وأبرار أطهار لا يقارفون ذنبا، ولا يجترحون إثما، كما قال سبحانه: «لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» [1].

ما ترشد إليه الآيات الكريمة:

. أساس التفاضل عند الله قائم على الإيمان والتقوى لا على الجاه والمناصب.

. اعتبرت الآيات الكريمة أن المؤمن الفقير خير من الغني الكافر.

. أرشدت الآيات على وجوب المساواة في الإسلام في شأن الإنذار وتبليغ الدعوة دون تمييز بين فقير وغني.

. آيات القرآن كلُّها تذكرة، وهي مثبتة في صحف عظيمة مُكَرَّمَةٍ عند الله ﷻ وقد نقلها سفراء أمناء مكرَّمون ومعظَّمون عند الله تعالى.

نشاط تقويمي:

. لخِّص ما أورده الفخر الرازي من مسائل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿عبس وتولى﴾.

. لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾، وقوله: ﴿كلا إنها تذكرة﴾؟

[1] . المراغي، تفسير المراغي، مصدر سابق، ج30، ص ص42 . 43.

. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، ثم بعدها قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ﴾ فلمَ لمْ يقل ذَكَرَهَا بالتأنيث؟

* * *

المحاضرة الثامنة: تفسير المقطع الثالث: [17– 32]

من نعم الله على الإنسان

النصُّ القرآني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢ ﴾

القراءات القرآنية:

﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبًّا﴾ قَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر {إِنا صببنا} بِكَسْر الْألف، وَقَرَأَ عَاصِم وَحَمْزَة والكسائي {أَنا صببنا} بِفَتْح الْألف [1].

الإعراب:

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾: جملة «قُتِل الإنسان» مستأنفة، «ما»: نكرة تعجبية مبتدأ، وفعل ماض ومفعوله، والجملة خبر «ما»، وجملة التعجب مستأنفة.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ الجار «من أي» متعلق بـ «خلقه»، والجملة مستأنفة.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ جملة «خلقه» الثانية بدل من الأولى.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾: «السبيل»: مفعول به لفعل محذوف يفسِّره ما بعده، وجملة «يسَّره» المقدرة معطوفة على جملة «قدَّره»، وجملة «يسَّره» المصرح بها مفسرة.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ جملة الشرط معطوفة على جملة «أقبره».

﴿كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ جملة «لما يقض» مستأنفة.

---

[1] - ابن مجاهد، السبعة في القراءات، مصدر سابق، ص672.

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ جملة «فلينظر» مستأنفة.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ المصدر المؤول «أنَّا صببنا» بدل من {طَعَامِهِ} في محل جر.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ «متاعًا» مفعول لأجله، الجار «لكم» متعلق بنعت لـ «متاعًا» [1].

البلاغة:

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ؟ أسلوب التعجب، تعجب من إفراط كفره، مع كثرة إحسان الله إليه.

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ إجمال، ثم تفصيل بقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ، ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [2].

مناسبة هذا المقطع لما قبله:

يقول الرازي: "اعلم أنه تعالى لما بدأ بذكر القصة المشتملة على ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين، عجب عباده المؤمنين من ذلك، فكأنه قيل: وأي سبب في هذا العجب والترفع مع أن أوله نطفة قذرة، وآخره جيفة مذرة، وفيها بين الوقتين حمَّال عذرة، فلا جرم ذكر تعالى ما يصلح أن يكون علاجا لعجبهم، وما يصلح أن يكون علاجا لكفرهم، فإن خلقة الإنسان تصلح لأن يستدل بها على وجود الصانع، ولأن يستدل بها على القول بالبعث والحشر والنشر" [3].

التحليل اللغوي للمفردات:

﴿**قُتِلَ الإِنسَانُ**﴾ دعاء عليه بالسّوء من الله تعالى مستعمل في التّحقير والتّهديد.

﴿**مَآ أَكْفَرَهُ**﴾: مَا: للتعجيب أو للاستفهام. أي: ما حمله على الكفر والكبر.

﴿**مِن نُّطْفَةٍ**﴾: النطفة في الأصل الماء القليل وتطلق على ماء التّناسل.

﴿**فَقَدَّرَهُ**﴾: أي أطوارا نطفة فعلقة فمضغة.

﴿**ثمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ**﴾: وتيسير السّبيل له، مستعار لما يقوم به الإنسان من أعمال وتصرفات لتحقيق سعادته، ويحتمل أن يراد بالسّبيل مخرجه من بطن أمّه، فلولا أن الله تعالى يسر له الخروج من بطن أمه والله ما خرج.

﴿**ثُمَّ أَمَاتَهُ**﴾: الإماتة سلب الحياة عن النّفوس الحيّة في الآجال المحدّدة عند الله.

---

[1] - الخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مرجع سابق، ج4، ص1419.

[2] - الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص64.

[3] - الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص57.

﴿**أَقْبَرَهُ**﴾: أي واراه في قبره بعد الموت. والإقبار: تهيئة القبر، بمعنى أمر بأن يقبر، وقد هيَّأ للإنسان من يقبره وإلا لأنتن وتعفن وأكلته الكلاب.

﴿**انشَرَهُ**﴾: الإنشار هو إخراج الميّت من الأرض حيّا، بمعنى: البعث.

﴿**لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ**﴾: لَمَّا: حرف نفي يدل على نفي الفعل في الماضي، والقضاء فعل ما يجب على الإنسان كاملا أي الإنسان الكافر لمّا ينفذ أو يطبق ما أمره الله به من الإيمان وفعل الطاعات، فهو لا يقضي ما أمره به ربه من الإيمان والطاعة.

﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**﴾: أي نظرة تأمل واعتبار كيف أوجده الله ودبّر أسبابه؛ لأن حياته متوقفة على الطعام.

﴿**وَقَضْبًا**﴾: مقابل الحبوب لغذاء الإنسان، وهو القتُّ الرطب يقضب أي يقطع مرة بعد مرة وهو علف البهائم.

﴿**وَزَيْتُوناً**﴾ يأكله حبا ويدهن به زيتا.

﴿**وَنَخْلاً**﴾ يأكله ثمرة بسرا ورطبا وتمرا.

﴿**وَحَدَآئِقَ غُلْبًا**﴾: الغلب جمع غلباء، مؤنث الأغلب أي غليظ الرقبة، تشبه بذلك الحدائق لالتفاف أوراقها وأغصان أشجارها.

﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾: والفاكهة: الثّمار تؤكل للتفكّه. الأبّ: الكلأ الذي ترعاه الأنعام.

﴿**مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾ أي: هذه المذكورات بعضها متاعا لكم أي منافع تتمتعون بها وبعضها لأنعامكم وهو القضب والأب منفعة لها تعيش عليها [1].

التفسير والبيان:

والمراد بالإنسان هنا: الإنسان الكافر الجاحد لنعم ربه بدليل السِّياق. ومعنى «قتل»: لُعن وطرد من رحمة الله تعالى، ويصحُّ أن يكون المراد به الجنس، ويدخل فيه الكافر دخولا أوليا.

أي: لعن وطرد من رحمة الله تعالى ذلك الإنسان الذي ما أشدَّ كفره وجحوده لنعم الله تعالى، والدعاء عليه باللعن من الله تعالى، المقصود به: التهديد والتحقير من شأن هذا الإنسان

[1]. ينظر: أبو بكر الجزائري جابر بن موسى، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003م، ج5، ص520؛ وينظر: سعيد كعباش، نفحات الرحمن، مصدر سابق، ج14، ص303.

الجاحد، إذ من المعلوم أن الله ﷻ هو الذي يتوجه إليه الناس بالدعاء، وليس هو ﷻ الذي يدعو على غيره، إذ الدعاء في العادة إنما يكون من العاجز، وجل شأن الله تعالى عن العجز.

وجملة «ما أكفره» تعليل لاستحقاق هذا الإنسان الجاحد التحقير والتهديد.

وهذه الآية الكريمة المتأمل فيها يراها مع بلوغها نهاية الإيجاز؛ قد بلغت أيضا نهاية الإعجاز في أسلوبها، حيث جمعت أشد ألوان الذم والتحقير بأبلغ أسلوب وأوجزه.

ثم وضح ﷻ كيفية خلق الإنسان فقال: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ أي: خلق الله تعالى الإنسان من نطفة، أي: من ماء قليل يخرج من الرجل إلى رحم المرأة، فَقَدَّرَهُ أي: فأوجد الله تعالى الإنسان بعد ذلك إيجادا متقنا محكما، حيث صيَّر بقدرته النطفة علقة فمضغة ثم أنشأه خلقا آخر فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ أي: إما كناية عن خروجه بسهولة من فرج أمه، وإمَّا أنَّه يسَّر ﷻ له طريق النظر القويم، الذي يميِّز به بين الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال.

ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ أي: ثم أمات ﷻ هذا الإنسان، بأن سلبه الحياة فَأَقْبَرَهُ. أي: فجعله ذا قبر يُوارى فيه جسده تكريما له، ولم يتركه مطروحا على وجه الأرض، بحيث يستقذره الناس، ويكون عرضة لاعتداء الطيور والحيوانات عليه، يقال: قبر فلان الميت يقبره- بكسر الباء وضمها-، إذا دفنه بيده فهو قابر. ويقال: أقبره، إذا أمر بدفنه، أو مكَّن غيره من دفنه [1].

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ أي: هذا ردع وزجر للإنسان عما هو عليه، فلم يخلَّ إنسان من تقصير قط، فبعض الناس أخلَّ بالكفر، وبعضهم بالعصيان، وبعضهم بارتكاب خلاف الأولى والأفضل لما يليق بمنزلته، وما قضى ما أمره الله إلا القليل. والآية تدل على العجب من حال الإنسان، فإنه قد ينكر خالقه بعد قيام الأدلة على وجوده في نفسه وفي السماوات والأرض، وقد يجحد نعمة ربه، فلا يقابلها بالحمد والشكر وعرفان الجميل، وينسبها إلى نفسه، وقد يعصي الله بالرغم من وجود أدلة الهداية والرشد، وإدراكه مخاطر العصيان.

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ أي: فليتأمل الإنسان كيف خلق الله طعامه الذي يعيش به، ويكون سببا لحياته، وكيف دبره وهيأه له. وفي هذا امتنان بهذه النعمة، واستدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاما بالية.

ثم أوضح كيفية إيجاد الطعام، فقال:

---

[1]. طنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، 1998م، ج15، ص289.

أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا أننا أنزلنا الماء من السماء أو سحاب على الأرض بغزارة وكثرة، فصب الماء هو المطر، ثم أسكناه في الأرض، ثم روينا البذر المودع فيها، ثم شققناها بالنبات الخارج منها، فارتفع وظهر على وجهها، فكان هناك أنواع مختلفة من النباتات في الصغر والكبر، والهيئة والشكل، واللون والطعم، والأغراض المتنوعة كالغذاء والدواء والمرعى، لذا ذكر تعالى بعدئذ ثمانية أنواع من النبات بقوله:

1- 3- فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا وَعِنَباً وَقَضْباً أي فأنبتنا في الأرض الحبوب التي يتغذى بها كالحنطة والشعير والذرة، والأعناب المتنوعة، والرطبة أو القت أو البرسيم أو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة. والمعنى أن النبات لا يزال ينمو ويتزايد إلى أن يصير حبا وعنبا وقضبا. وقيل: القضب: العلف.

4- 5- وَزَيْتُوناً وَنَخْلًا أي وأنبتنا أيضا شجر الزيتون والنخيل، وثمرتهما معروفة.

6- 8- وَحَدائِقَ غُلْباً، وَفاكِهَةً، وَأَبًّا أي بساتين ذات أشجار ضخمة ومتكاثفة كثيرة، وفاكهة وهي كل ما يتفكَّه به من الثمار، أي يستمتع به، كالتفاح والكمثّرى والموز والخوخ والتين ونحوها، وعشبا أو حشيشا مرعى للدواب، فالأب: كل ما أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس ولا يزرعونه من الكلأ وسائر أنواع المرعى للحيوان.

ثم ذكر وجه النعمة أو الحكمة في خلق هذه النباتات، فقال: مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ أي: جعلنا ذلك متعة أو عيشة لكم ولأنعامكم، لتنتفعوا بها وتأكلها بهائمكم، والأنعام: هي الإبل والبقر والغنم [1].

ما ترشد إليه الآيات الكريمة:

. . إقامة الأدلة على وحدانية الله وعلى المعاد الجسماني وذلك من خلال تأمل الإنسان في أصل خلقه، وفي النظر إلى طعامه وشرابه.

. بيان قدرة الله ﷻ على بعث الإنسان بعد أن أوجده من عدم ثم خلقه من ماء مهين ثم جعله يمر بأطوارٍ في حياته.

. أغلب الأناسي مقصرون في جنب الله تعالى، وغافلون عن التأمل في آيات الله العجيبة، فلا يقضي أحد ما أمر به الله من الإيمان والطاعة إلا القليل من عباده الشكور.

[1] . ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص ص59 . 72.

. أوردت الآيات الكثيرَ من نعم الله ﷻ على هذا الإنسان الكفور قصد أن يتأمَّلها ويعرف أوامر الله تجاهه، كما يُدرك بها حقيقة المنعم ﷻ.

نشاط تقويمي:

. ما المقصود بـ (الإنسان) في الآية؟ وهل الألف واللام فيها للعهد أم للجنس؟

. لماذا ساق الله الأدلة على أصل خلق الإنسان وعلى وجوب التأمل والنظر في طعامه؟

* * *

المحاضرة التاسعة: تفسير المقطع الرابع: [33– 43].

من أهوال يوم القيامة.

النصُّ القرآني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

الإعراب:

«فَإِذا» الفاء حرف استئناف و«إذا» ظرفية شرطية غير جازمة «جاءَتِ الصَّاخَّةُ» ماض وفاعله والجملة في محل جر بالإضافة و«يَوْمَ» ظرف زمان بدل من إذا «يَفِرُّ الْمَرْءُ» مضارع وفاعله والجملة في محل جر بالإضافة و«مِنْ أَخِيهِ» متعلقان بما قبلهما «وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ» معطوفان على ما قبلهما «وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ» معطوفان أيضا و«لِكُلِّ» متعلقان بمحذوف خبر مقدم و«امْرِئٍ» مضاف إليه و«مِنْهُمْ» صفة امرئ و«يَوْمَئِذٍ» ظرف زمان أضيف إلى مثله و«شَأْنٌ» مبتدأ مؤخر «يُغْنِيهِ» مضارع ومفعوله والفاعل مستتر والجملة الفعلية صفة شأن والجملة الاسمية لكل امرئ.. مستأنفة لا محل لها.

«وُجُوهٌ» مبتدأ و«يَوْمَئِذٍ» ظرف زمان أضيف إلى مثله و«مُسْفِرَةٌ» خبر و«ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» خبران آخران لوجوه والجملة الاسمية مستأنفة «وَوُجُوهٌ» مبتدأ و«يَوْمَئِذٍ» ظرف زمان أضيف إلى مثله و«عَلَيْها» خبر مقدم و«غَبَرَةٌ» مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدأ وجملة وجوه.. معطوفة

على ما قبلها. «تَرْهَقُها» مضارع ومفعوله و«قَتَرَةٌ» فاعل والجملة الفعلية خبر ثان لوجوه. و«أُولئِكَ» مبتدأ و«هُمُ» ضمير فصل و«الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ» خبران والجملة مستأنفة [1].

البلاغة:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ. بينهما مقابلة، قابل فيها بين وجوه السعداء ووجوه الأشقياء.

المناسبة لما قبلها:

بعد بيان نعم الله تعالى في نفس الإنسان وفي طعامه، وإقامة الأدلة والبراهين بها على كمال قدرة الله ﷻ على البعث وكل شيء، أبان الله تعالى بعض أهوال القيامة وأحوالها التي تملأ النفس خوفا ورهبة، ليكون ذلك مدعاة إلى التأمل في الدلائل والإيمان بها والإعراض عن الكفر، وإلى ترك التكبر على الناس، وإلى إظهار التواضع إلى كل أحد.

والناس في ذلك الموقف فريقان: سعداء وأشقياء، والفريق الأول ضاحك مستبشر: وهو من آمن بالله ورسله وأطاع ما أمر الله به وقابل نعم الله بالشكر. والفريق الثاني عابس متكدر، تعلو وجهه الغبرة وترهقه القترة: وهو الذي أنكر وجود الله وتوحيده، وأعرض عن قبول ما جاءت به رسل الله، واستخدم النعم فيما لا يرضي الله ﷻ [2].

قال القرطبي: "لما ذكر أمر المعاش ذكر أمر المعاد، ليتزودوا له بالأعمال الصالحة، وبالإنفاق مما امتن به عليهم" [3].

التحليل اللغوي للمفردات:

﴿**الصَّآخَّةُ**﴾: الصّيحة التي تصمّ الأذان من شدّتها. صارت علما بالغلبة على يوم القيامة. ومجيئها مستعمل مجازا لحصولها.

﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ**﴾: الفرار: الهروب من شيء مخيف.

﴿**مِنَ اَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ**﴾: رتب أفراد الأسرة ترتيبا ارتقائيا من قاعدة الهرم إلى قمته، فكل فرد من هؤلاء يطلب منه النّجدة وهو مشغول بنفسه في طلب النّجاة.

---

[1] . الدعاس، إعراب القرآن الكريم، مصدر سابق، ج3، ص 421.

[2] - ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، مصدر سابق، ج30، ص74.

[3] . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج19، ص224.

﴿**شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾: شغل أو حال يكفيه في الاهتمام به، ويشغله عن شأن غيره، أي: اشتغل كل واحد بنفسه، مما يدل على الرهبة والخوف الشديد، ويُغْنِيهِ يصرفه عن غيره.

﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ**﴾: أي ذات نور وضياء، وهي متهللة مشرقة من البشر، يقال: أسفر الصبح: إذا أضاء.

﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ**﴾: الغبَرة: الغبار. أي: معفّرة بالغبار. والقترةُ سوادٌ وظلمة كسواد الدّخان من شدّة الكرب والهمّ.

﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ**﴾: الإشارة للإبعاد والتّحقير، وضمير الفصل لإفادة التّقوية. و﴿الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾: بدون عاطف، أي جمعوا بين الكفر والفجور [1].

التفسير والبيان:

{فإذا جاءت الصاخة} يعني الصيحة العظيمة التي تصخُّ الآذان، وهذا هو يوم القيامة، {يوم يفر المرء من أخيه} من أخيه شقيقه أو لأبيه أو لأمه، {وأمه وأبيه} الأم والأب المباشر، والأجداد أيضاً، والجدات، {وصاحبته} زوجته، {وبنيه} وهم أقرب الناس إليه وأحب الناس إليه. ويفر من هؤلاء كلهم. قال أهل العلم: يفرُّ منهم لئلا يطالبوه بما فرَّط به في حقهم من أدب وغيره، لأنَّ كل واحد في ذلك اليوم لا يحب أبداً أن يكون له أحد يطالبه بشيء {لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه} كل إنسان مشتغل بنفسه لا ينظر إلى غيره، ولهذا لما قال النبي ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ» [2]، ثم قسّم الله الناس في ذلك اليوم إلى قسمين فقال: {وجوه يومئذ} يعني يوم القيامة (مسفرة) من الإسفار وهو الوضوح لأنها وجوه المؤمنين تُسفر عما في قلوبهم من السرور والانشراح، {ضاحكة} يعني متبسمة، وهذا من كمال سرورهم، {مستبشرة} أي: قد بشِّرت بالخير لأن الملائكة تتلقاهم بالبشرى يقولون {سلام عليكم} {ووجوه يومئذ} يعني يوم القيامة {عليها غبرة} أي: شيء كالغبار؛ لأنها ذميمة قبيحة {ترهقها قترة} أي: ظُلمة {أولئك هم الكفرة الفجرة} الذين جمعوا بين الكفر والفجور [3]، وقد جمع الله عليهم الغبرة والقترة

[1] - ينظر: سعيد كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، مصدر سابق، ج14، ص307.

[2] - البخاري محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، ج8، ص109، رقم الحديث: 6527.

[3] - ابن عثيمين محمد بن صالح، تفسير جزء عم، ط2، دار الثريا، الرياض، 2002م، ص67.

كما جمعوا بين الكفر والفجور، ولعل الغبرة للفجور والقترة للكفور [1].

ما ترشد إليه الآيات الكريمة:

. ذكرت الآيات الكريمة جانبا من أهوال يوم القيامة حتى يبذل الإنسان قصارى جهده في التَّعلق بالإيمان وعمل الصَّالحات حتى يكون يوم القيامة من الآمنين.

. على الإنسان أن يختار طريق السعداء أو العكس ما دام له الاختيار في هذه الحياة الفانية، فعليه أن يتزوَّد من دار ممرِّه إلى دار مستقرِّه.

. بينت الآيات أن الناس يوم القيامة على فريقين: فريق السعداء وهم الذين تظهر علامات الفرح والبِشر على وجوههم . جعلنا الله منهم .، وفريق الأشقياء وهم الكفرة الفجرة الذين تظهر ملامح التعاسة والندامة على وجوههم . أعاذنا الله منهم .

نشاط تقويمي:

. ارجع إلى كتب التفاسير واذكر المناسبة بين افتتاحية السورة وختامها.

. لماذا ذكر الله الوالدين في معرض فرار المجرم منهما في هذه السورة، بينما في سورة المعارج لم يذكرهما في معرض طلب المجرم فداءَ نفسه من النار؟

* * *

المحاضرة العاشرة: أسس الدعوة إلى دين الله وأساليبها

النصُّ القرآني:

يقول تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: ١٢٥].

موجزٌ عن السورة الكريمة:

محور السورة وهدفها يدور حول نعم الله على هذا الإنسان والتي لا تعد ولا تحصى، حتى أن بعض العلماء سمَّى هذه السورة بسورة النِّعم لكثرة ما ورد فيها من ألوان النِّعم سواء الظاهرة منها وهي التي يراها الإنسان ويحسُّ بها كالنبات والماء والأطعمة المختلفة ومنها عسل النَّحل، ونعمة البحر،

[1] - اطفيش امحمد بن يوسف، مختصر كتاب تيسير التفسير، ترتيب: طلاي إبراهيم بن محمد، المطبعة العربية، غرداية، 2006م، ج8، ص373.

والنجوم والشمس والقمر، ولحوم الأنعام وأصوافها وأوبارها، ونعمٌ باطنة كنعمة الوحي والتي تبث الروح في القلوب وتحييها. وفي المقابل يحذرنا الله في هذه السورة من كفران هذه النعم واستعمالها في المعاصي، وقد ضرب لنا بذلك المثل عن القرية التي كان يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

وسورة النحل كسائر السور المكية التي تعالج موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية والوحي والبعث، ولكنها تضمُّ موضوعات جانبية أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسية كموضوع أدب الدعوة إلى الله ﷻ الذي نحن بصدد دراسته.

سبب النزول: روى الدارقطني بسنده عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا , قَالَ: لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ قَتْلَى أُحُدٍ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى مَنْظَرًا أَسَاءَهُ رَأَى حَمْزَةَ ﷺ قَدْ شُقَّ بَطْنُهُ وَاصْطَلَمَ أَنْفُهُ وَجُدِعَتْ أُذُنَاهُ , فَقَالَ: «لَوْلَا أَنْ يَحْزَنَ النِّسَاءُ أَوْ يَكُونَ سُنَّةً بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ لَأُمَثِّلَنَّ مَكَانَهُ بِسَبْعِينَ رَجُلًا»، ثُمَّ دَعَا بِبُرْدَةٍ فَغَطَّى بِهَا وَجْهَهُ فَخَرَجَتْ رِجْلَاهُ فَغَطَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجْهَهُ وَجَعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْإِذْخِرِ , ثُمَّ قَدَّمَهُ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ عَشْرًا ثُمَّ جَعَلَ يُجَاءُ بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ وَحَمْزَةُ مَكَانَهُ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعِينَ صَلَاةً وَكَانَ الْقَتْلَى سَبْعِينَ , فَلَمَّا دُفِنُوا وَفُرِغَ مِنْهُمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل: 125] إِلَى قَوْلِهِ {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل: 127] فَصَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُمَثِّلْ بِأَحَدٍ [1].

فضيلة هذه الآية:

قيل لهرم بن حبّان حين احتضر: أوص، فقال: إنما الوصية من المال، ولا مال لي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل: ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ [2].

مناسبتها لما قبلها:

يقول البقاعي: "لما قدم سبحانه في هذه السورة حكاية كثير من استهزائهم بوعده ووعيده، وتكذيبهم لرسله على أبشع وجه، والتفتير عن حرقة الحرص عليهم، المفضي إلى شدة التأسف على ضلالهم وغير ذلك مما ربما أيأس منهم فأقعد عن دعائهم، وأتبعه ضرب الأمثال، ونصب الجدال – على تلك المناهيج المعجزة بما يسبق من ظواهرها إلى الفهم عند قرع السمع من المعاني الجليلة،

---

[1] . الدارقطني علي بن عمر، سنن الدارقطني، حققه: شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2004م، كتاب السير، ج5، ص207، رقم الحديث: 4209.

[2] . السايس محمد علي، تفسير آيات الأحكام، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية، 2002م، ص485.

والمقاصد الجميلة – لعامة الخلق ما يجل عن الوصف، وإذا تأملها الخواص وجدوا فيها من دقائق الحقائق، ومشارع الرقائق، ومحكم الدلائل، ومتقن المقاصد والوسائل، ما يوضح – بتفاوت الأفهام وتباين الأفكار – أنه بحر لا ساحل له ولا قرار، ولا منتهى لما تستخرج منه الأنظار، وختم باتباع الأب الأعظم، لما كان ذلك، وأمر سبحانه نبيه ﷺ وهو السميع المطيع أن يستن بآثاره، ويقتدي بإضماره وإظهاره له تلك الملة التي أمره باتباعها [1].

التحليل اللغوي للمفردات:

﴿**ادع إلى سَبِيلِ رَبِّكَ**﴾ إلى الإسلام.

﴿**بِالْحِكْمَةِ**﴾ بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل المُوَضِّح للحقِّ المزيل للشبهة

﴿**وَالمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها أو بالقرآن أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة، والحكمة المعرفة بمراتب الأفعال، والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة، والإنذار بالبشارة.

﴿**وَجَادِلُهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرِّفق واللِّين من غير فظاظة أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة في الدين.

﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سبيله وَهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين**﴾ أي: هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفَاهُ الوعظ القليل، ومن لا خير فيه عجزت عنه الحِيَل [2].

التفسير والبيان:

"يقول الله ادْعُ يا محمد الناس إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ أي: إلى شريعة ربك، وهي الإسلام، بِالْحِكْمَةِ أي: بالقول المحكم، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ بالعبر التي تؤثّر بها في قلوبهم، وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ خاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها، فاصفح عمّا نالوا به عرضك من الشتم والهجاء، ولِنْ لهم في القول، وقابل السوء بالحسنى، وليكن قصدك من الخصومة الوصول إلى الحق، فلا تعمل ما يعمله السفهاء في جدالهم من رفع الصوت، وسب الخصم، والمغالبة باليد والسباب، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وبمن اهتدى إليه، فمجازيهم على ضلالهم واهتدائهم، فله الجزاء لا إليك، وإنما عليك الدعوة والبلاغ

[1]. البقاعي إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج11، ص279.

[2]- النسفي، مدار التنزيل، مصدر سابق، ج2، ص241.

وإنما احتيج لهذه الصناعات الثلاثة: البرهان، والخطابة، والجدل، لأن الناس متفاوتون في العقول والأفهام، فمنهم من بلغ رتبة الحكمة، فلا يقنعه إلا البرهان المفيد لليقين الذي لا يحتمل النقيض، لا حالا ولا مآلا.

ومنهم الطرف الآخر، المقابل للأول، وهم جمهور الناس، وهؤلاء لا يفيدهم إلا صناعة الخطابة. والبرهان مضرّ بهم، فلا يصلون إليه، وربما أفسد استعماله معهم عليهم أمرهم.

القسم الثالث بين بين، فقد ارتفع عن طبقة العامة، ولم يصل إلى طبقة الخاصة، وهؤلاء لا يصلحهم إلا الجدل الحسن، وفي هذا دليل على أن القرآن من عند الله، لأنّ هذه معارف لا يصل إليها إلا الحكماء الذين مارسوا الحكمة وانقطعوا لها! ومحمد ﷺ نشأ أمّيا، لم يمارس الحكمة، فظهور هذه الحكمة العالية على لسانه دليل على أنّه من عند من علّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" [1].

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

. بينت الآية أن من الشروط الأساسية للدعوة أن تكون خالصة لله، فالداعية يدعو إلى سبيل الله لا إلى سبيل آخر مهما كان؛ كأن يكون داعيا لمذهب أو تيار أو فرقة، كما عليه أن تكون دعوته متَّسمة بالحكمة والموعظة الحسنة.

. أرشدت الآية إلى أن أسلوب الدعوة إلى الإسلام تتطلب ثلاثة أمور وهي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن.

. وعلى الداعية أيضا أن يدعو على بصيرة، وأن يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم.

. لا يتعلق حصول الهداية بالدَّاعية، فالهداية بيد الله ﷻ وهو أعلم بمن يهديه ومن يضلُّه.

نشاط تقويمي:

. ما علاقة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله بمحور هذه الآية الكريمة؟

. هل أنماط الدعوة المذكورة في الآية الكريمة هي على الترتيب؟ وما علاقة هذه الأنماط بدعوة النَّاس إلى الإسلام وخاصة وأنَّ الناس مختلفين في توجُّهات أفكارهم ومعتقداتهم؟

. هناك أمورٌ يجب على الداعي إلى الله أخذها بعين الاعتبار، اذكرها، واشرح موقفا إيجابيا تعرَّضت له أثناء قيامك بواجب الدعوة إلى الله.

* * *

[1]. السايس محمد علي، تفسير آيات الأحكام، مرجع سابق، ص482.

المحاضرة الحادية عشر: تحقيق مبدإ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

النصُّ القرآني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

مناسبتها لما قبلها:

لما أمرنا الله تعالى بالاعتصام بحبله وهو القرآن الكريم ونهانا عن التفرق في الدين والاختلاف فيه فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾، أرشدنا بعدها إلى ما يقوّي هذا الاعتصام ويبعدنا عن التفرق في الدين وذلك بالدّعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

الإعراب:

وَلْتَكُنْ أمر، والأصل ولتكن حذفت الكسرة لثقلها وحذفت الضمة من النون للجزم وحذفت الواو لالتقاء الساكنين. أُمَّةٌ اسم تكن. يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ في موضع النعت، وما بعده عطف عليه [1].

البلاغة:

من المحسنات البديعية وجود الطّباق في: ﴿وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، وفي: ﴿تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾: صيغة الوجوب بلام الأمر أصرح في الأمر من الصّيغة المجرّدة، والآية مفرعة عن الكلام السّابق بالأحرى أن تعطف بالفاء على اعتبار المخاطبين في الآية السّابقة، وعدل إلى العطف بالواو تنبيها على أن هذا الكلام مقصود لذاته.

وفي قوله تعالى: ﴿منكُم﴾ تأخذ "من" معناها من كونها بيانية أو تبعيضية، باعتبار المقصودين من الخطاب أهُم الخواصّ من أصحاب الرّسول وغيرهم من المؤمنين، أمِ الأمة المؤمنة في مجموعها؟ ففي هذه الحالة تكون بيانية، وفي الحالة الأولى تكون تبعيضية على حدّ قوله تعالى في سورة التّوبة: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ (التوبة: 122).

[1] - النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، ص174.

﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ﴾: مجاز مرسل من باب إطلاق الحالّ وإرادة المحلّ أي الجنة [1].

التحليل اللغوي للمفردات:

﴿**أُمَّةٌ**﴾: الأمة: الطّائفة من النّاس تضمّهم روابط من نسب أو وطن أو دين.

﴿**يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾: الخير: هو كل ما فيه صلاح النّاس في دينهم ودنياهم، أي إلى هدي الإسلام الذي يحقق ذلك المعروف، مجاز في المقبول المرضيّ عند أهل العقول ضدّه المنكر.

﴿**وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ بالفعل الحسن الذي يقره العرف والشرع

﴿**وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ الذي يستقبحه الشرع، وينكره العقل.

﴿**وَأُوْلَئِكَ**﴾ الداعون إلى الخير، الآمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر ﴿**هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[2].

التفسير والبيان:

بعد أن أمر سبحانه وتعالى بالاعتصام بحبل الله تعالى؛ والاستمساك بالقرآن الكريم، والالتفاف حوله، وعدم التفرق والانقسام – بيّن سبحانه وتعالى السبيل لهذا الاعتصام، والطريق للوحدة الفاضلة، التي لَا تفرق فيها، ولا اختلاف يفك عراها، ويهدم بنيانها، وذلك السبيل هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولذلك فرضه سبحانه وتعالى بقوله تقدست كلماته: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بالمعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ المعروف هو الأمر الذي تعارَفته العقول ولم تختلف فيه الأفهام؛ وهو الذي يكون متفقا مع الفطرة الإنسانية التي لَا تختلف في الناس، والمنكر هو ما تضافرت العقول الإنسانية على إنكاره وقبحه، وهو مناقض للفطرة الإنسانية.

و (مِنْ) في قوله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ) قيل: إنها بيانية، وقيل. إنها تبعيضية، وهي تحتملهما معا، وعلى أنها بيانية يكون المعنى أن الأمة كلها عليها واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون التخريج اللفظي لقوله تعالى تقدست كلماته: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ) مثل قول القائل: ليكن منك رجل خير، أو ليكن منك رجل جهاد، أي ليكن منك رجل خير ورجل جهاد، فالمعنى الجملي للنص الكريم: ولتكونوا أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وإذا كان ذلك الواجب على الأمة كلها، فهو يتفاوت بتفاوت مقدار ما

[1] - سعيد كعباش، نفحات الرحمن، مصدر سابق ج2، ص378.

[2] . ابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية، 1964م، ص74.

أوتيه كل واحد من العلم والقوة، فعلى أولياء الأمر أن يرتبوا أمر الدعوة الإسلامية، وبيان الحقائق، ووضع النظم الزاجرة المانعة من الشر، أن يتفاقم أمره، ويشتد سيله، ويكون على العلماء واجب بيان الشرع في دروس عامة وخاصة، وبيان الحق في كل أمر يَجدّ في شئون الناس، وبيان طرق الدعوة إلى سبيل الله، ويكون على العامة كل في محيط وجوده وبمقدار طاقته أن يرشد وأن ينصح، فمن رأى رجلا يرفثُ في القول، أو يجرح كرامات الناس، أرشده ونهاه، ومن رأى رجلا يفطر في رمضان وعظه ونهاه، ومن رأى رجلا لا يصلي حثه على الصلاة، على أن يكون ذلك برقيق القول، لَا بالجفوة والعنف فإن الجفوة لَا تجدي بل تبعد، والمودة تجدي وتقرب، وبهذا تكون الأمة كلها تتواصى بالحق، وتتواصى بالصبر والهداية.

هذا سياق القول على أن (مِنْ) بيانية، وأما سياقه على أنها تبعيضية، فيكون المعنى: ليكن بعض منكم أمة أي طائفة تُؤم وتقصد وتكون مجابة الدعوة، إذ تدعو إلى الخير أي إلى كل ما هو نافع في ذاته، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وعلى ذلك يكون في الآية الكريمة طلبان: أحدهما موجه إلى الأمة كلها، وهو إعداد هذه الطائفة التي تقوم بالإرشاد العام والتوجيه الفكري والنفسي، وتزويدها بكل ما يمكنها من أداء مهمتها، والقيام بالواجب عليها على الوجه الأكمل، وثاني الواجبين هو واجب هذه الطائفة التي تكونت، والوجوب عليها أخص من الوجوب الأول، وكذلك الشأن في كل الفروض الكفائية، فيها وجوبان: وجوب خاص على من عندهم الأهلية الخاصة للواجب الكفائي، ووجوب عام على الأمة كلها، وهو تمكين هؤلاء الخاصة من القيام بواجبهم وتزويدهم بما يحتاجون إليه [1].

والراجح أن (مِنْ) تبعيضية، وليست بيانية، يقول الزمخشري: " من " للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته، وكيف يباشره، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف، وأمر بمنكر، وقد يغلظ في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا.."[2].

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

[1]. ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج3، ص ص1342 . 1345.

[2]. الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص396.

. أنّ الدعوة إلى الإسلام ونشرها في آفاق العالم والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من فروض الإسلام الكفائية، لقوله تعالى: ﴿وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً، فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ، لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ، وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة 9/ 122].

. يجب على الدّعاة أن يكونوا علماء بما يدعون الناس إليه، وقائمين بفرائض الدّين على وفق ما وصف الله ﷻ به عباده المؤمنين في قوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ، وَآتَوُا الزَّكاةَ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج 22/ 41]، والسبب أن الدّاعية هو القدوة الحسنة والمثل الصالح الذي يحتذي به، ويقلّده الآخرون ويتأثّرون به.

. يجب أن يكون الداعية على بصيرة مما يدعو به ومما يدعو إليه، وبمن يدعوهم فهذه البصيرة شرط في نجاح دعوته.

. على الداعية ألا يتكلم إلا على علم وبصيرة، وبالأسلوب الحسن والعبارات الحسنة، حتى تقع الكلمة موقعها لدى السامع وتؤتي ثمارها.

نشاط تقويمي:

. تضافرت نصوص الوحيَين القرآن والسنة بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اذكر بعضا منها مبيِّنا الآثار الإيجابية التي تنعكس على الفرد والمجتمع حال قيامهم بهذا الأمر.

. ما قولك فيمن يسقط هذا الواجب بحجَّة قوله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105]؟

* * *

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، والصلاة والسلام على من ترك لنا هذا الدين كالمحجَّة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه خاتمة المطبوعة الموجهة لطلاب السنة الثانية أصول الدين أرجو من الله ﷻ أن يعمَّ نفعها، ويسهل فهمها، وأن يجبُر تقصيرنا فيما أخطأنا، فهذا جهد المقلّ، وحسبي أني حاولت أن أقدم هذه المطبوعة متَّبِعا فيها المنهجية العلمية الصحيحة، وجامعا فيها بين عناصر الدَّرس المطلوبة ومنوِّعا فيها بين مدارس التفسير القديمة والحديثة، ولكنَّ جهدي فيها صار كمن اغترف قطرة من بحور، مقارنة بجهود العلماء الأفذاذ الذي تركوا لنا مطوَّلات خدموا بها كلام الله ﷻ تفسيرا وبيانا واستنباطا للأحكام والحكم ولا يزالون، فجزاهم الله خيرا، وهذا في الحقيقة يعكس أحد صور إعجاز القرآن الكريم الذي قال الله عنه: {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}.[1] فتفسير كلام الله تعالى لا نهاية له أبداً، إلاَّ أنَّه لا يقتحم غماره إلا من حاز علوما وفنونا تمكِّنه من بيان مراد الله للناس، وإلا عدَّ مُتقوِّلا على الله وجُرمه عظيم منصوص عليه في القرآن الكريم.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

1. . القرآن الكريم برواية ورش.
2. البخاري محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.
3. . أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، حققه: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ.
4. أبو بكر بن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيق، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ.
5. أبو بكر الجزائري جابر بن موسى، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003م.
6. . البقاعي إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
7. . أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط، حققه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
8. . أبو عمرو الداني، البيان في عدّ آي القرآن، حققه: غانم قدوري الحمد، ط1، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، 1994م.
9. . الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، جامعة طنطا، 1999م.
10. . الترمذي، سنن الترمذي، حققه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
11. جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
12. ابن جزي محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، حققه: عبد الله الخالدي، دار ابن الأرقم، بيروت، 1416هـ.
13. ابن الجزري محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د.ت.
14. . الخطيب عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.

15. الخراط أحمد بن محمد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1426هـ.
16. ابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية، 1964م.
17. . الدعاس أحمد وآخرون، إعراب القرآن الكريم، ط1، دار المنير، دمشق، 1425هـ.
18. درويش محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، ط4، 1415هـ.
19. . الدارقطني علي بن عمر، سنن الدارقطني، حققه: شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2004م.
20. . الرازي محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
21. . الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، دمشق، 1412هـ.
22. . الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر، بيروت، 1418هـ.
23. . الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
24. . الزركشي محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1957م.
25. . الزمخشري محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
26. ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، بيروت، د.ت.
27. . السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
28. أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
29. سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط6، دار السلام، القاهرة، 1424هـ.

30. سعيد كعباش محمد بن إبراهيم، نفحات الرحمن في رياض القرآن، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2015م.
31. . السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974م.
32. . الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير، ط1، دار ابن كثير، 1414هـ.
33. صافي محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، ط4، 1418هـ.
34. . الطبراني، المعجم الكبير، حققه: حمدي بن عبد المجيد، ط2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1983م.
35. الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، حققه: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ج24، ص149.
36. اطفيش امحمّد بن يوسف، تيسير التفسير، تحقيق: إبراهيم بن محمد طلاي، المطبعة العربية، غرداية، 2003م.
37. اطفيش امحمد بن يوسف، مختصر كتاب تيسير التفسير، ترتيب: طلاي إبراهيم بن محمد، المطبعة العربية، غرداية، 2006م.
38. طنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، 1998م.
39. . ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، 1984م.
40. . ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، حققه: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.
41. . ابن عثيمين محمد بن صالح، تفسير جزء عم، ط2، دار الثريا، الرياض، 2002م.
42. . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، حققه: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ.
43. . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، حققه: عبد السَّلام محمد هَارُون، 2002م.
44. . ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
45. . المراغي أحمد مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

46. . تأليف مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة؛ ؛ الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 2002م.
47. . سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ.
48. . فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط1، الناشر: إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، 1986م.
49. الماتريدي محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.
50. . محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م.
51. . محمود الحجازي، التفسير الواضح، ط10، دار الجيل الجديد، بيروت، 1413هـ.
52. . مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ار إحياء التراث العربي، بيروت.
53. . مصطفى مسلم، باحث في التفسير الموضوعي، ط4، دار القلم؛ 2005م.
54. . مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،2000م.
55. النسفي عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1998م.
56. . القاسمي محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت.
57. الواحدي علي بن أحمد بن محمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ.
58. . الواحدي علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، حققه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
59. . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، حققه: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.
60. النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ.